



الأنجيل الأربعة
مصادرها وتاريخها
The four Gospels
Sources and History

الأناجيل الأربعة

لم يأت ذكرٌ للأناجيل Gospels في الكتابات والنصوص التي تنحدر إلينا من المراحل الأولى للمسيحية حتى مرَّ وقت طويل على النصوص التي كان قد كتبها بولس Paul . ولقد بدأ ظهور مجموعات من الكتابات الإنجيلية Evangelic Writings في منتصف القرن الثاني الميلادي وبالتحديد بعد عام ١٤٠ م. وبالرغم من ذلك نجد أنه «اعتبارا من بداية القرن الثاني الميلادي يصرون بوضوح على أنهم يعرفون عددا كبيرا من رسائل بولس» إن مثل هذه الملاحظات شائعة الوجود وتعرضها لنا بوضوح «مقدمة الترجمة المسكونية للعهد الجديد Ecumenical Translation of the Bible, New Testament التي صدرت في عام ١٩٧٢ . إن هذا الاعتبار جدير بالذكر هنا، ومن الجدير بالذكر أيضا أن نشير إلى أن هذه الترجمة المسكونية للعهد الجديد هي نتيجة عمل جماعي تضافرت عليه جهود أكثر من مائة متخصص من علماء اللاهوت الكاثوليك والبروتستانت . والأناجيل التي أصبحت رسمية فيما بعد تعترف بها الكنيسة ولا تعترف بما سواها لم تعرف إلا في عصر متأخر على الرغم من أنها كتبت في بداية القرن الثاني الميلادي . ووفقا لما أورده مقدمة الترجمة المسكونية للأناجيل فقد بدأ ذكر الروايات المتعلقة بهذه الأناجيل في منتصف القرن الثاني . ولكننا نطالع في مقدمة الترجمة المسكونية للأناجيل أنه «يكاد يكون عسيرا التأكد ممَّا إذا كانت نصوص هذه الأناجيل The texts قد تقررت بناء على نصوص مكتوبة Writ- ten texts مأثورة عن أصحاب ومؤلفي هذه الأناجيل المنسوب إلى كل منهم تأليفها ، أم أنها تعتمد على تراث شفهي اعتمادا على الذاكرة والروايات الشفهية المتداولة» .

ونقرأ أيضا في مقدمة الطبعة المسكونية للأناجيل : «قبل عام ١٤٠ بعد الميلاد ، لم يكن هنالك بأى حال ما يدل على وجود كتابات للأناجيل تحريرية» وهذا الإفادة الموجودة بمقدمة الطبعة المسكونية للأناجيل تتناقض تماما مع ما يقرره أ . تريكو A. Tricot عندما كتب في مقدمة ترجمته للعهد الجديد ما نصه كما يلي : «ومنذ وقت مبكر من القرن الثاني الميلادي أصبح من المعتاد أن تقال كلمة «الإنجيل Gospel» للإشارة إلى الكتب التي كان يسميها القديس جوستين «مذكرات الرسل» في عام ١٥٠ م» . ومما يؤسف له أن مثل الزعم الذي يزعمه «أ . تريكو» يتكرر كثيرا وتم إشاعته بين جمهور المسيحيين بحيث يصبح عامة الجمهور لا يعرفون إلا مثل هذه المعلومات الخاطئة^(١) عن تاريخ كتابة الأناجيل .

(١) هذا التناقض واضح غاية الوضوح . يزعمون أن الأناجيل قد تم تحريرها بدقة تامة . وعندما يواجهون بالأخطاء والتناقضات الصارخة يقولون : وماذا نفعل ؟ لم تكن الكتابة معروفة على نطاق واسع بين الناس في عصر المسيح . ولم تكن علامات الترقيم معروفة ولم يكن الصفر الحسابي موجودا . وكان الاعتماد على التواتر الشفهي ؟ لماذا يزعمون الدقة إذن ؟ (المترجم) .

حقيقة الأمر هي أن الأناجيل لم تتشكل بصورتها ونصوصها الراهنة في زمن مبكر بدرجة كافية "very early on" إنها لم تكتمل إلا بعد أكثر من قرن من تاريخ انتهاء شأن المسيح مع قومه . "The Gospels did not form a complete whole "very early on" . it did not happen until more than a century after the end of Jesus's mission"

إن مقدمة الترجمة المسكونية للعهد الجديد تحدد تاريخ ظهور الأناجيل الأربعة واكتسابها مكانتها كأناجيل معتمدة بتاريخ محدد هو العام ١٧٠ بعد الميلاد .

ودعوى القديس جوستين بأن مؤلفي الأناجيل إنما هم «رسل Apostles» يستحيل^(١) القبول بها أيضا كما سيتضح فيما بعد خلال دراستنا هذه .

وفيما يتعلق بشأن تحرير كل إنجيل على حدة نجد أن «أ . تريكو» يعطينا تحديدات غير دقيقة بالمرءة . إنه يؤكد دون دليل على أن أناجيل متى ومرقس ولوقا قد حررت قبل عام ٧٠ م . وليس هذا مقبولا ، وربما باستثناء إنجيل مرقس وهو يحاول ، و شأنه في ذلك شأن آخرين ، أن يزعم أن محرري الأناجيل إنما هم رسل Apostles أو رفاق للمسيح ، وهو لهذا السبب يتهاافت على أن يقدم تاريخ تحرير الأناجيل لجعلها تقترب من الفترة التي كان يعيش فيها المسيح . أما فيما يتعلق بشأن يوحنا^(٢) John فهو يحاول أن يجعله يعيش حتى عم ١٠٠ م . لقد اعتاد المسيحيون بالفعل على تصويره بصورة شديدة القرب والملاصقة للمسيح ، ولكن من العسير حقا التأكد من أنه هو كاتب الإنجيل الذي يحمل اسمه . وبالرغم من ذلك يعتبره «أ . تريكو» شاهدا كفتا معترفا به وبصحة كل الأمور والكتابات المنسوبة إليه . وعلى حين لا يتمسك غالبية علماء اللاهوت المسيحي بصحة الرأي القائل بأن يوحنا بن زبدي هو الذي كتب الإنجيل الرابع ، يصّر «أ . تريكو» على أن يوحنا بن زبدي هو كاتب الإنجيل الرابع الذي ينسبه العامة إليه .

وإذا كان من العسير اعتبار هذه الأناجيل الأربعة كمذكرات لرسل أو رفاق المسيح ، فما هو أصلها إذن ؟

يقول : «أ . كولمان O.Culmann» في كتابه المعنون بعنوان «العهد الجديد - The New Testament» الصادر عن دار نشر Presses Universitaire de France في باريس عام ١٩٦٧ : «إن المبشرين

(١) شرط النبوة أو الرسالة هوأن يكون الوحي الصادر إلى النبي أو الرسول صادرا من الله . وإلى النبي أو الرسول بشأن الدين شريعة وعقيدة . هل ينطبق هذا الشرط على مؤلفي الأناجيل؟ (المترجم) .

(٢) - يحظى شأن يوحنا ، صاحب الإنجيل الرابع بأكثر العجب والغرابة : يزعمون أنه يوحنا بن زبدي ، صياد السمك الذي قال له المسيح : «اتبعني» وكان من الحواريين . ومن المعروف أن الإنجيل الرابع المنسوب إليه قد تم تحريره بعد أكثر من مائة عام من نهاية شأن المسيح مع قومه . هل عاش يوحنا أكثر من مائة عام بعد انتهاء شأن المسيح مع قومه ؟ كان يوحنا رجلا بالغا عندما قال له المسيح : «اتبعني» ومتى تعلم يوحنا اللغة اليونانية وهو صياد سمك أمي لا يعرف الكتابة؟ إن أول جملة من إنجيل يوحنا التي تقول : «في البدء كان الكلمة.....» تقطع بأن هذا الإنجيل يستحيل نسبته إلى يوحنا بن زبدي الذي يستحيل أن يستخدم هذا الاصطلاح الفلسفي . (المترجم) .

أصحاب الأناجيل لم يكونوا إلا متحدثين باسم الجماعات المسيحية الأولى ، وصلت إلينا أقوالهم من خلال التراث الشفهي oral tradition ولقد ظل الإنجيل طيلة ثلاث وأربعين سنة فى صورته الشفهية فقط على وجه التقريب . ولكن هذا التراث الشفهي قد تضمن فى غرضه أيضا أقوالا مختلفة ، وروايات متعارضة منعزلة . ولقد نسج المبشرون أصحاب الأناجيل - كل على طريقته وبحسب شخصيته الخاصة واهتماماته اللاهوتية الخاصة - الروابط بين هذه الروايات والأقوال التى تلقوها من التراث السائد . إن تجميع أقوال المسيح وربط الروايات فى صياغات غامضة تستخدم عبارات مثل : «وبعد هذا...» ، «ويظن...» و«بالاختصار ...» ووضعت هذه الروايات فى إطار أطلقوا عليه الأناجيل المتوافقة Evanges Synoptiques ويدل كل شىء فى هذه الطريقة على أنها أدبية الطابع وليست تأريخية الطابع .

ويستطرد «أ . كولمان» ليقول : «ومن الضرورى أن نلاحظ أن متطلبات التبشير والتعليم والنشاط الدينى هى التى دعت الجماعة الأولى من المسيحيين إلى محاولة تثبيت هذا التراث عن المسيح بأكثر من اهتمامها بتسجيل حقائق حياة المسيح^(١) . إن المبشرين أصحاب الأناجيل كانوا يظنون فى شرح حقائق الإيمان الذى يروى لهم ويؤيدون شروحههم بذكر أحداث وأقوال عن المسيح . إن مواظمتهم ومعتقداتهم هى التى خلقت هذه الروايات ، ولقد اعتمدت الكنيسة بشكل خاص على تلك الأقوال المأثورة عن المسيح ، كما تواترت على هذا النحو» .

وهذا بالضبط هو الوصف الذى يصف به محررو مقدمة الطبعة المسكونية من الأناجيل حيث يقررون فيها أن «التراث الشفهي قد تشكل بتأثير تبشير تلاميذ المسيح وحواريه بالإضافة إلى جهود غيرهم فى هذا الصدد . وظلت مادة هذا التبشير متداولة فى التراث الشفهي حتى استقرت فى الأناجيل لتتجسد فى شكل مكتوب لبعض عناصر الإيمان ولبعض أقوال المسيح ولبعض الحكايات عن آلام المسيح ، واستعان أصحاب الأناجيل بهذه المادة المكتوبة كما استعانوا أيضا بالتراث الشفهي حتى يكتبوا نصوصا تتكيف مع مختلف الأوساط وتتسبب لاحتياجات الكنائس وتشكل الكتاب المقدس ليصحح الأخطاء ويرد على حجج الخصوم . وهكذا جمع أصحاب الأناجيل مادة أناجيلهم وكتبوها ، كل بحسب وجهة نظره وبحسب ما توافر لكل منهم من الأقوال المأثورة عن المسيح فى التراث الشفهي» .

إن هذا رأى الذى يحظى بإجماع أكثر من مائة من مفسرى العهد الجديد من الكاثوليك والبروتستانت يختلف بشكل واضح عن الرأى الذى اتخذته المجمع المسكونى الثانى للفاثيكان فى دستور العقائدى عن الكتاب المقدس ، وهو الرأى الذى تمت صياغته فيما بين سنة ١٩٦٢ وسنة ١٩٦٥ . ولقد سبق أن أشرنا إلى رأى هذا المجمع الفاتيكانى فيما يتعلق بشأن العهد القديم أو التوراة . لقد استطاع هذا المجمع الفاتيكانى أن يعلن أن أسفار العهد القديم «تحتوى على شوائب» .

(١) معنى ذلك بوضوح أنهم كتبوا حياة المسيح كما يهون ، وليس كما كانت فى حقيقة الأمر ، إنه المسيح وفق أهوائهم . (المترجم) .

“Contain material which is imperfect and obsolete” ولكنه فيما يتعلق بشأن أناجيل العهد الجديد لم يتخذ المجمع الفاتيكاني مثل هذا الموقف ولم يبد مثل هذه الملاحظة ، وعلى العكس من ذلك نقرأ في تقرير المجمع الفاتيكاني ما يلي :

«ولا يخفى على أى إنسان حقيقة أنه من بين كل النصوص المقدسة بما فى ذلك نصوص العهد الجديد ، تخطى الأناجيل الأربعة بمرتبة رفيعة من السمو والتميز ، وذلك بفضل أنها تتضمن شهادة حقيقية عن حياة وتعاليم الكلمة التى تجسدت The Incarnate Word مخلصنا . وفى كل زمان ، وفى كل مكان حافظت الكنيسة ولا تزال تحافظ على الأصول الرسولية The Apostolic origin للأناجيل الأربعة . إن ما بشر به الرسل بالفعل بأوامر من المسيح On Christ's orders أو ذلك الذى بشر به أتباعهم الآخرون بتوجيه من الوحي الإلهي للروح القدس فى الكتابات تعتبر أساس الإيمان ، ونعنى بذلك الأناجيل الأربعة وفقاً لرواية متى ، ووفقاً لرواية مرقس ، ووفقاً لرواية لوقا ، ووفقاً لرواية يوحنا .

إن كنيسةنا ، أمنا المقدسة قد أعلنت وهى لا تزال تعلن بكل حزم وثبات دائم لا يفتر أن هذه الأناجيل الأربعة هى الأناجيل التى تأكد صدقها على مدار التاريخ وهى تنقل بشكل أمين فعلاً أقوال وأفعال المسيح طيلة حياته بين البشر لتحقيق خلاصهم الأبدى إلى أن رفع إلى السماء . إن أصحاب الأناجيل الأربعة القديسين قد ألفوا الأناجيل الأربعة بطريقة تسمح دائماً أن تعطينا معلومات صادقة وصريحة True and frank عن حياة المسيح» .

هذا تأكيد واضح لأمانة نقل الأناجيل الأربعة لصورة صحيحة صادقة عن أعمال وأقوال المسيح . ولا يوجد أى اتساق أو وفاق على الإطلاق بين رأى المجمع الفاتيكاني المشار إليه وبين آراء كثير من الباحثين الذين سبق لنا أن عرضنا آراءهم فى هذا الصدد، ومنها تلك الآراء التى تقول :

«إن الأناجيل لا يجب أن نأخذ بحرفية نصوصها» ، «إنها كتابات تمت فى ظروف خاصة» ، «إنها كتابات أفرزتها الخصومات بين جماعات دينية متعارضة المعتقدات» ، «إن مؤلفي الأناجيل قد كتبوا ، كل على طريقته ، التراث الشفهى عن المسيح من وجهة نظره» . تتعارض هذه الآراء كما وردت بالترجمة المسكونية للعهد الجديد مع تقرير المؤتمر الثانى للفاتيكاني .

ومن الواضح جداً أن هذه الآراء المتعارضة مع رأى المؤتمر الثانى للفاتيكاني تضعنا وجها لوجه أمام دعاوى متعارضة ومتناقضة ، لا يمكن أبداً التوفيق بين آراء مؤتمر الفاتيكاني الثانى الذى يذهب إلى أنه يوجد بالأناجيل نقل أمين صادق لأفعال وأقوال المسيح وبين وجود تناقضات فعلية فى هذه الأقوال حسب النصوص الموجودة بالأناجيل مع وجود أمور غير معقولة ولا مقبولة تبلغ حد الاستحالة ووجود دعاوى وافتراسات متناقضة لحقائق العلم الحديث فرغ الناس من التحقق من صحة وجهة نظر العلم الحديث بشأنها .

وإذا كان الرأى الذى تضمنه تقرير المؤتمر الثانى للفاثيكاني لا اتساق فيه ولا اتساق له مع حقائق العلم الحديث نجد أن الآراء المعارضة له تحظى بالاتساق وهى أولى وأحق بالقبول ، وهى الآراء التى تعتبر نصوص الأنجيل مجرد تعبير عن وجهات نظر شخصية كتبها كتابها نقلا عن التراث الشفهى لدى مختلف الجماعات ، ولو نظرنا إليها باعتبار أنها كتابات نتجت عن ظروف معينة فى خصومات عقائدية بين جماعات متخاصمة متعادية ، فعندئذ لا ينبغي أن يدهش أحد عندما يجد فى الأنجيل كل هذه التناقضات والعيوب التى هي علامة واضحة على تدخل الإنسان^(١) فى صياغة الكلام الموجود فى الأنجيل . ربما كان كتاب وجامعو هذه النصوص فى أى واحد من الأنجيل مخلصين تماما ويسردون أمورا وأحداثا وأقوالا لا يشكون هم أنفسهم فى صحتها عندما يقدمون لنا وصفا لهذه الأمور والأحداث والأقوال مناقضة لوصف رواة وكتاب أنجيل أخرى لا يشك أصحابها هم أيضا فى صدقها عن حياة المسيح وأفعاله وأقواله .

ولقد سبق لنا أن رأينا كيف أن السياق التاريخى المتعلق بشأن تدوين نصوص الأنجيل يتسق تمام الاتساق مع الرأى المناقض لرأى المؤتمر الفاثيكاني الثانى ويدحضه دحضا تاما .

الإنجيل وفقا لرواية متى

The Gospel According to Matthew

يحتل إنجيل متى المكانة الأولى من حيث ترتيب الأنجيل بالعهد الجديد - The New Testament . وهذا الوضع الذى يجعل إنجيل متى يتصدر أنجيل العهد الجديد مرجعه إلى أن إنجيل متى يعتبر امتدادا للعهد القديم كما يفترض ذلك المفترضون الذين يفترضون أن هذا الإنجيل قد كتب بهدف إثبات أن المسيح إنما هو جزء لا يتجزأ من تاريخ بنى إسرائيل ولم يكن تاريخ بنى إسرائيل ليكتمل إلا به . "Jesus Fulfilled the history of Israel"

وهذا التعبير قد سجلته مقدمة الترجمة المسكونية للعهد الجديد التى سبق أن أشرنا إليها وسنستعير منها فقرات كثيرة . ولكى يحقق متى هذا الغرض نجده يستشهد كثيرا بفقرات من العهد القديم تشير إلى أن المسيح كان يتصرف كالمسيح^(٢) الذى كان ينتظره اليهود .

(١) عندما يكون الكلام هو كلام الله وحده لا شريك له فى كتاب مقدس فلا مجال لوجود خطأ أو أى تناقض داخلى أو تناقض مع الحقائق أى كانت . أما عندما يكون الكلام كلام بشر فإن باب الأخطاء يكون مفتوحا على مصراعيه . (الترجم)

(٢) لم يعترف معظم اليهود من بنى إسرائيل المعاصرين للمسيح عيسى ابن مريم أنه هو المسيح الذى كانوا ينتظرونه . إن المسيح الذى كان ينتظره اليهود له مواصفات خاصة فى أذهان اليهود المعاصرين للمسيح عليه السلام . إن التوراة تخبرهم أن نبيا سيأتى بعد موسى يعطيه الله الشريعة الكاملة . (سفر التثنية ١٨ : ١٨) . وبناء على هذا النص الموجود حتى الآن بسفر التثنية سأل اليهود المعاصرون للمسيح المسيح سؤالا مباشرا عما إذا كان هو المسيح كما بطلنا على ذلك إنجيل يوحنا احتاط به نفر من اليهود وهو يتمشى برواق سليمان بالهيكل وقالوا له : «إلى متى تعلق أنفسنا . إن كنت أنت المسيح فقل لنا جهرًا أى صراحة» أجابهم يسوع إني قلت لكم ولستم تؤمنون . الأعمال التى أنا أعملها باسم أبى هي تشهد لى ، ولكنكم لستم تؤمنون لأنكم لستم خرافى . » (إنجيل يوحنا ١٠ : ٢٤-٢٦) سألوه : هل أنت المسيح ؟ ولم يقل لهم : نعم أنا المسيح ، ولم يقل لهم : لا ، أنا لست المسيح . يبدو السؤال =

وببدأ إنجيل متى بما يسمى «شجرة نسب المسيح Genealogy of Jesus» وهو يجعل المسيح متصل النسب بسيدنا إبراهيم عن فرع سيدنا داود . وسنرى فيما يلي الخطأ فى هذا النص المتعلق بنسب المسيح فى إنجيل متى وهو الخطأ الذى يلوذ مفسرو الكتاب المقدس بالصمت التام إزاءه . ومهما يكن الأمر ، فلقد كان هدف متى الواضح هو ربط نسب المسيح بهذه السلسلة من الأنساب ليربط تاريخ المسيح بتاريخ أبناء بنى إسرائيل . ومؤلف هذا الإنجيل يستطرد فى ملازمة هذا الخط إذ يدأب على إبراز موقف المسيح من الشرائع اليهودية فى مبادئها الأساسية كالصلاة والصوم والزكاة .

إن المسيح كما يقدمه لنا إنجيل متى يريد أن يوجه تعاليمه أولاً وقبل كل شئ إلى قومه من بنى إسرائيل اليهود ، وهو يحدد رسالته بأقوال مثل : «إلى طريق الوثنيين لا تمضوا . وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا . بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت إسرائيل الضالة» (إنجيل متى ١٠: ٥-٦) . وكان المسيح أيضا يقول : «ولم أرسل إلا إلى خراف بنى إسرائيل الضالة» (إنجيل متى ١٥: ٢٤) .

وفى موضع آخر هو نهاية إنجيل متى لا يقصر متى تعاليم المسيح على خراف بنى إسرائيل الضالة بل يوسع نطاق رسالة المسيح لكى يحملها الحواريون إلى كل أنحاء العالم إلى كل الأمم . إنه يجعل المسيح يصدر هذا الأمر إلى الحواريين : «اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم» . (إنجيل متى ٢٨: ١٩) ويحاول مفسرو الإنجيل التغلب على هذا التناقض المتمثل فى تصريح المسيح أنه لم يرسل إلا إلى خراف بنى إسرائيل الضالة وفى إصداره الأمر لتلاميذه وحواريه أن يتلمذوا جميع الأمم بقولهم : «ولكن التوجه الرئيسى يلزم أن يكون إلى بيت إسرائيل» . «The primary destination must be to the house of Israel» .

ويقول : «أ . تريكو» عن إنجيل متى : «تحت العبادة اليونانية لهذا الإنجيل يظل هذا الإنجيل يهوديا لحما وعظما وروحا . إنه يحمل خصائص الديانة اليهودية ويتسم بسماتها المميزة» .

هذه هى الاعتبارات التى تجعلنا نضع نصوص إنجيل متى فى موضعها داخل الجماعة اليهودية - المسيحية التى كانت تحاول - على حد تعبير «أ . كولمان» - أن «تقطع العلاقات التى كانت تربطها باليهودية مع الاحتفاظ فى نفس الوقت بالاتساق المستمر مع نصوص التوراة ، وهذا هو السبب فى أن النبوة العامة لهذا الإنجيل توحى بوجود وضع متوتر» .

وربما كان هذا النص الأخير الذى اختتم به متى الإنجيل المنسوب إليه بضرورة أن يتلمذ

= بسيطاً فى ظاهره ، ولكنه سؤال ماكر وخبيث وخطير . كان المسيح يعرف مفهوم المسيح فى أذهان اليهود . ولو قال لهم : «نعم أنا المسيح» ؛ لقالوا له : «هات لنا الشريعة الكاملة لنحكم بها العالم» ولو قال لهم : «لا . أنا لست المسيح» لقالوا له : «ولماذا تصدع رؤوسنا؟» - ولا يزال اليهود ينتظرون المسيح الذى سيأتى لهم بالشريعة الكاملة ليحكموا بها العالم . (الترجم) .

الحواريون جميع الأمم ذا صفة سياسية أملت الظروف السياسية التي كانت سائدة في فلسطين عند تحرير متى لإنجيله . كان هنالك الاحتلال الروماني لفلسطين ، وكان اليهود يتطلعون بشدة إلى الاستقلال والتحرر من حكم الرومان الوثنيين لهم . وإذا كان الرومان يمتلكون الجند والسلاح فإن اليهود من بنى إسرائيل كانوا يمتلكون ما يعتزون به من ديانة التوحيد والشريعة الموسوية والتوراة . وإذا كان الرومان أساتذة في الحرب ، فاليهود من بنى إسرائيل كانوا يرون أنهم أساتذة في الدين والاتصال بشرائع الله وتعاليمه . وكان ينبغى من وجهة نظرهم أن يكون الرومان^(١) وغير الرومان تلاميذ لهم وأتباعا .

ولذلك لم تخل تطلعات اليهود من التوجه إلى الله بالدعاء كى يتدخل بقدرته وجبروته لصالح شعبه المختار من بين كل الشعوب ، الشعب الذى هو - الله - ملكه الأكبر ويستطيع أن يأتي بعونه المباشر ليتدخل لنصرة شعبه بين البشر كما سبق له - جل شأنه - أن فعل ذلك مرات كثيرة عبر التاريخ .

أى نوع من الناس كان متى ؟!! ؟ What sort of person was Matthew ?

فلنقل صراحة بادئ ذى بدء أنه لم يعد يُنظرُ إليه باعتبار أنه أحد الحواريين أتباع المسيح Jesus's companions وإن كان «أ . تريكو» بالرغم من ذلك يقدمه باعتبار أنه أحد الحواريين فى مقدمة ترجمته للعهد الجديد التى أصدرها عام ١٩٦٠ حيث يقول فيها عن متى : «متى ألياس ليقى كان عشارا وظيفته تحصيل رسوم العشر على البضائع المنقولة المتحركة على الطرق ؛ أى : أنه كان موظفا بمكتب الجمارك أو ضرائب المرور بكفر ناحوم يحصل الضرائب لحساب الرومان عندما دعاه المسيح ليجعل منه أحد تلاميذه» . وهذا بالضبط هو ما كان يعتقد آباء الكنيسة بوجه عام مثل اوريجين وجيروم وإييفان . ولكن لم يعد أحد يعتقد هذا الاعتقاد بشأن كون متى ليقى من تلاميذ المسيح وحواريه . إن مسألة واحدة تعتبر على جانب كبير من الأهمية والخطورة لم يأبه لها ولم يضعها فى اعتباره كل من اعتبروا متى من الحواريين أتباع وتلاميذ^(٢) المسيح المباشرين . وهذه المسألة هى أنه كان يكتب باللغة اليونانية لليونان والرومان الذين كانوا يتحدثون اللغة اليونانية .

كان متى كاتباً يهودياً ، موضوعات كتابته كانت فلسطينية ، أما كتابته ذاتها فكانت يونانية اللغة ، كان تحريره له باللغة اليونانية . وفى ذلك يقول «أ . كولمان» : «إن الكاتب ، متى ، كان يخاطب فى كتابته «أناسا» وإن كانوا يتحدثون اليونانية فلقد كانوا يعرفون أيضا العادات والشرائع اليهودية وكانوا يعرفون اللغة الآرامية أيضا» .

(١) هذا بالضبط هو مانحج فيه بولس عندما اتجه إلى محاولة إدخال القوة الرومانية المسيطرة عسكريا على العالم إلى الديانة المسيحية وأباح للرومان كل ما كانوا يعترضون عليه مثل عدم موافقتهم على الختان وإصرارهم على شرب الخمر وأكل لحم الخنزير . (المترجم) .

(٢) من الشائع فعلا أن متى كان من الحواريين التلاميذ المباشرين للمسيح عليه السلام ، ولكن ملاحظة المؤلف أنه قد كتب الإنجيل المنسوب إليه باللغة اليونانية مسألة جدية فعلا بالاعتبار . (المترجم) .

أما أصحاب الترجمة المسكونية للعهد الجديد ، فقد ورد في تعليقهم على شخصية متى وإنجيله ما يلي : «من الأرجح أن إنجيل متى قد جرت كتابته في سوريا أو في إنطاكية أو في فينيقيا حيث كان يعيش في هذه المناطق كثير من اليهود ، أو الذين اعتنقوا الديانة اليهودية»^(١) ومن الممكن أن نستشف آثار معركة فكرية كانت ناشبة بين اليهود - المسيحيين وبين اليهود الفريسيين المتمسكين بالتشدد في التعلق بتقاليد طقوس المعبد اليهودي ، والنصوص التوراتية ، وهي المعركة التي ظهرت معالمها بوجه خاص في جامينا في سنة ٨٠م ، أو ربما قبل ذلك بقليل^(٢) . ولا يمكن الوصول إلى يقين كامل في هذا الشأن . ولما كان اسم المؤلف غير معروف بالتحديد ، فالأنسب هو الاكتفاء ببعض الخطوط المرسومة له في ذات إنجيله ومنها أنه معروف بمهنته (متى العشار) ، وبأنه واسع الإلمام بنصوص التوراة وبالتراث اليهودي ، وبأنه كان يحترم رؤساء شعبه اليهودي ، وإن عارضهم وخالفهم في بعض معتقداتهم ، وأنه كان أستاذا في فن التدريس والتعليم الديني ، ذا إلمام كبير بقواعده وأصوله ، وله قدرات هائلة في مجال تبسيط وتوضيح أقوال المسيح لمستمعيه مع تأكيده الدائم على النتائج العملية لتطبيق تعاليمه في الواقع الفعلي . وهذه الصفات كلها تتفق تماما مع صفات وسمات شخص يهودي أو اعتنق الديانة اليهودية ، متأدب ، ومعلم حاذق يخرج من كنزه جديدا من بين طيات القديم كما ينص على ذلك إنجيله نفسه بالأصحاح الثالث عشر بالجملة الثانية والخمسين^(٣) ... إن هذه صورة بعيدة كل البعد عن صورة الموظف البيروقراطي بكفر ناحوم الذي كان يطلق عليه مرقس ولوقا اسم «ليفي» والذي أصبح معدودا ضمن الحواريين الاثني عشر التلاميذ المباشرين للمسيح عليه السلام .

ويتفق الجميع على أن متى كان قد كتب إنجيله بالاعتماد على مصادر مشتركة بينه وبين مرقس ولوقا ولكن روايته في إنجيله تختلف عن رواية إنجيل كل منهما في نقاط ومسائل جوهرية كما سيتضح لنا ، ومع ذلك فقد اعتمد متى في صياغة إنجيله على مرقس^(٤) إلى حد كبير . ولم يكن مرقس بأي حال من الحواريين ، التلاميذ المباشرين للمسيح عليه السلام .

كان متى يتصرف بحرية خطيرة في صياغة النصوص وعلى وجه الخصوص نصوص العهد القديم كما يفعل كبار المفسرين والأستاذة في مجال التفسير إذ لا يترددون في إبراز معنى جديد لنص قديم ، وهو ما فعله متى على وجه التحديد فيما يتعلق بسلسلة نسب المسيح التي كان يعلق

(١) يشير المؤلف نفسه في ملاحظة هامشية بأسفل الصفحة (٦٠) من الترجمة الإنجليزية لكتابه أن متى ربما كان قد كتب إنجيله بالإسكندرية حيث كان يعيش كثير من أتباع اليهودية المسيحية . (المترجم) .

(٢) مثل هذه المارك ، والصراعات الفكرية تمتد في العادة على مدار سنين كثيرة متلاحقة . (المترجم) .

(٣) النص المشار إليه هو : «فقال لهم من أجل ذلك كل كاتب متعلم في ملكوت السموات يشبه رجلا رب بيت يخرج من كنزه جدداً وغفاه» . (إنجيل متى ١٣ : ٥٢) ومن الواضح أنهم اعتبروا أن متى إنما كان يعبر عن نفسه من خلال هذا النص الذي ينسبه إلى المسيح أنه كان قد قاله بوجه عام . (المترجم) .

(٤) هذا شأن عجيب حقا ، فمن المعقول ومن المتوقع أن يأخذ «اللاحق» وأن يقتبس مما كتبه «السابق» ، ومن المعقول ومن المتوقع أن يأخذ وأن يقتبس «من سمع» فحسب «من رأى وسمع» . كان المعقول والمتوقع هو أن يأخذ «مرقس» ويقتبس من «متى» لا العكس لأن متى هو الحوارى أحد شهود العيان . (المترجم) .

عليها أهمية كبيرة إلى حد أن وضعها في بداية الإنجيل المنسوب إليه . ويمتلئ هذا الإنجيل المنسوب إلى متى بوجهات نظر وروايات يستحيل التصديق بصحتها . واستحالة التصديق هذه ليست وصفاً من عندنا ولكنها الوصف الذى وصف به الأب كاتينجر هذه الروايات كما أوردها متى فى الإنجيل المنسوب إليه خصوصاً عندما تحدث إنجيل متى عن «قيامه المسيح» خصوصاً روايته بشأن حراس القبر من الجند . ويلاحظ كاتينجر أن أولئك الجند الذين كانوا يحرسون قبر المسيح وفقاً لرواية متى لم يذهبوا بتقريرهم إلى رؤسائهم وإنما ذهبوا إلى كبير أحبار اليهود ليرشوهم ليقولوا للناس الأكاذيب . ولكن الأب كاتينجر يحاول تخريج المسألة بطريقة تبريرية تحاول إنقاذ كل ما يمكن إنقاذه من برائن اللامعقولة فى رواية متى فى هذا الصدد عندما يقول : «ولكن علينا أن نلزم جانب الحذر فى تقديرنا لدوافع متى ليكتب عن هذه الأمور غير المعقولة على هذا النحو» إن متى - فيما يرى الأب كاتينجر - كانت نيته جديرة بالإجلال والاحترام . إذ لم يفعل شيئاً غير معتاد بمقاييس التراث الشعبى المتداول فى عصره ، حيث كان الناس لا يجدون حرجاً فى الروايات الشعبية من سرد أوصاف غير معقولة لبعض الأحداث حتى لو كانت متعلقة بأحد الأبطال المعروفين ، أو الأولياء الصالحين بالضبط كما يفعل صناع الأفلام السينمائية فى أحد أفلامهم الذى يجعل من المسيح «نجماً سينمائياً» Super Star فى أحد أفلام السينما التى عرضت على الناس بالفعل .

وعلىنا أن نضع فى اعتبارنا أن هذا هو رأى ونظرة وتخريج وتحليل عالم لاهوت مسيحى بارز هو الأب كاتينجر ، وهو مسيحى مؤمن ، وهو أيضاً أستاذ اللاهوت المسيحى بالمعهد الكاثوليكى فى باريس .

وثمة مثال آخر يدل دلالة واضحة على أن متى فى إنجيله لم يكن يذكر تاريخ ووقائع وأحداث حياة المسيح كشاهد عيان بل كان يطلق لخياله العنان فى اختلاق العجائب والغرائب التى واكبت موت^(١) المسيح إذ يقول فى الإنجيل المنسوب إليه بالحرف الواحد ما نصه : «وإذا حجاب الهيكل قد انشق إلى اثنين من فوق إلى أسفل والأرض تزلزلت والصخور تشققت والقبور فتحت وقام كثير من أجساد القديسين الراقدين . وخرجوا من القبور بعد قيامته ودخلوا المدينة المقدسة وظهروا لكثيرين . وأما قائد المئة والذين معه يحرسون يسوع فلما رأوا الزلزلة وما كان ، خافوا ، وقالوا : حقاً كان هذا ابن الله . وكانت هناك نساء كثيرات ينظرن من بعيد وهن كن قد تبعن يسوع من الجليل يخدمه ومنهن مريم المجدلية ، ومريم أم يعقوب وأم ابنى زبدي» . (إنجيل متى ٢٧: ٥١-٥٦) .

(١) لم يموت المسيح على الصليب كما توهم ذلك أتباعه وأعداؤه ظنوه مات على الصليب ، وكان فى حقيقة الأمر لم يموت ، شبه لهم أنه مات فأنزله بأيديهم عن الصليب ، وكانوا يستعجلون الجند لإزالة دفته ، ولم تكن ساقاه قد قطعتا كما قطعت ساقا كل من اللصين المصلوبين معه . وكانت هذه هى طريقة الله فى إنقاذ المسيح مما أراد له أعداؤه واجتهدوا لتحقيقه . وهذا هو المعنى الصحيح لقول القرآن الكريم «ولكن شبه لهم» والله أعلم . (المترجم) .

وليس لهذه الفقرة من إنجيل متى مثيل فى أى من الأناجيل الأخرى^(١) ولا نرى كيف استطاعت أجساد القديسين أن تخرج من القبور بعد قيامة المسيح أى غداة السبت كما يقول الإنجيل .

وربما كان إنجيل متى الذى يروى تفاصيل هذا المشهد المصاحب لموت وقيامة المسيح حسب رواية إنجيل متى قد وصل إلى ذروة اللامعقولية كما وصل إليها أيضا فى موضع آخر عندما يحدثنا متى عن آية (معجزة) يونس كما يلى :

كان المسيح موجودا بين رهط من اليهود الكتبة والفريسيين فقالوا له : «يا معلم ، نريد أن نرى منك آية» . أى أنهم طلبوا منه أن يعمل لهم معجزة . فأجابهم المسيح بقوله : «جيل شرير وفاسق يطلب آية ! ولا يعطى له آية إلا آية يونان^(٢)» لأنه كما كان يونان فى بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال هكذا يكون ابن الإنسان فى قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال . (إنجيل متى ١٢: ٣٨-٤٠) .

ها هو ذا المسيح يعلن وفقا لما أورده عنه إنجيل متى أنه (المسيح) سيموت وسيدفن فى بطن الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال ، ثم يقوم المسيح من القبر بطن الأرض ويخرج منه كما خرج سيدنا يونس حيا من بطن الحوت بعد ثلاثة أيام وثلاث ليال كما أخبرنا بذلك إنجيل متى . ولكن ذات إنجيل متى ومعه إنجيل لوقا وإنجيل مرقس يحدد كل منها موت المسيح بأنه قد تم فى آخر نهار الجمعة وعند فجر يوم الأحد ذهبت مريم المجدلية إلى قبر المسيح فلم تجد جسده فى الكفن داخل القبر . ويستحيل أن تمتد فترة بقاء المسيح فى قلب الأرض أكثر من ليلتين فقط . والنص اليونانى لإنجيل متى قاطع الدلالة على أن مدة بقاء المسيح فى قبره هى ثلاثة أيام Treis emeras وثلاث ليال Treis nuktas ويستحيل القبول بمحاولة تخايل المفسرين المسيحيين لتبرير هذا الخطأ الحسابى الواضح فى حساب مدة بقاء المسيح فى مدفنه بأن : «يوم كامل وليلتان» مجموعهما ثلاثة أيام كما حاول ذلك الأب روجيه ، إذ أن الأب روجيه نفسه يستدرك قائلا : «ولكن لا يجوز هذا التبرير لأن التعبير فى النص كما أورده إنجيل متى جامد لا يحتمل مثل هذا التأويل» . ومن المحزن حقا أن نلاحظ أن المفسرين ينزلقون إلى استخدام مثل هذه التبريرات لمحاولة تمرير مثل هذه المتناقضات على حين أن الاعتراف بوجود خطأ فى كتابة النص ربما كان أكثر إقناعا للعقل^(٣) .

وبالإضافة إلى هذه الأمور غير المعقولة يتميز إنجيل متى أولا وقبل كل شئ بأنه إنجيل طائفة من طوائف اليهودية - المسيحية التى نزعَت إلى مخالفة اليهودية مع التمسك بنصوص العهد القديم . ومن هنا تنبع الأهمية الكبرى لإنجيل متى فى التأريخ لاجتاه اليهودية - المسيحية .

(١) لو كانت هذه الأحداث المصاحبة لموت وقيامة المسيح كما يذكرها متى فى إنجيله قد حدثت فى الحقيقة فكيف يجوز أن نهملها بقية الأناجيل التى عرضت تاريخ حياة المسيح ؟ (المترجم) .

(٢) يونان هو سيدنا يونس ، صاحب الحوت أو صاحب النون . (المترجم) .

(٣) معناه بوضوح أن الاعتراف بوجود خطأ أجدى وأولى بالقبول والإقناع من المحاولات الفاشلة لتبرير الخطأ . (المترجم) .

الإنجيل وفقاً لرواية مرقس

The Gospel According To Mark

إنجيل مرقس هو أكثر الأناجيل الأربعة إيجازاً ، وهو أيضاً أقدم الأناجيل ، وبالرغم من ذلك ، ليس كاتبه واحداً من الحواريين Apostles بل إن كاتبه فى أحسن الفروض إنما كان هو تلميذ لأحد الحواريين .

إن «أ. كولمان» قد كتب يقول : إنه لا يستطيع أن يعتبر «مرقس» كان حوارياً للمسيح ، وبالرغم من ذلك يدافع «كولمان» عن مصداقية إنجيل مرقس بقوله : «إن متى ولوقا لم يكونا ليستخدمنا هذا الإنجيل مثلما فعلاً لو كانا يعرفان فعلاً أنه غير مؤسس على تعاليم أحد الحواريين» ولكن هذه الحجة حجة ضعيفة واهية لا تكفى لإزالة العجب والدهشة التى تعترينا عندما نجد أن أقدم الأناجيل الذى اقتبس منه الحواريون الأناجيل التى كتبها كل منهم لم يكن أحد الحواريين الذين شاهدوا وسمعوا مباشرة المسيح هو الذى كتبها ، ويحاول (أ. كولمان) تعضيد هذه الحجة بالإشارات الكثيرة فى العهد الجديد التى تشير إلى رجل اسمه «يوحنا» ولقبه هو «مرقس» ولكن نلاحظ نحن أن هذه الإشارات لا تشير صراحة إلى «مؤلف إنجيل» وحتى نصوص إنجيل مرقس كلها ، لا تشير إلى أى مؤلف .

إن نقص المعلومات الخاصة بصحة نسبة إنجيل مرقس إليه قد أفضت بالمفسرين إلى التهافت ، والمبالغة فى دلالة قصة الشاب «الذى كان يلبس إزاراً على عريه وترك الإزار وهرب وهو عريان عندما شرع فى الإمساك به» وعلى أساس أن مرقس هو الوحيد الذى حكى فى إنجيله حكاية هذا الشاب (إنجيل مرقس ١٤ : ٥١-٥٢) فتهافت المفسرون على استنتاج أن مرقس كان هو نفسه ذلك الشاب ؛ أى : أنه كان من الحواريين . وتقول مقدمة الترجمة المسكونية فى هذا الصدد : «وبسبب هذه الذكري الشخصية توجد علامة على الصحة بإمضاء مجهول» . ويقول «كولمان» :

«إن هذا يدل على أن صاحب هذا الإنجيل كان واحداً من شهود العيان» .

ويرى «كولمان» «أن هناك كثيراً من تراكيب الجمل فى إنجيل مرقس تدعم الفرض القائل : بأن مؤلف هذا الإنجيل يهودى الأصل» ولكن وجود تعبيرات لاتينية بهذا الإنجيل Latin expressions يجوز أن توحي بأنه كان قد كتب إنجيله فى روما . In Rome «إنه يعبر عن نفسه للمسيحيين مراراً باعتبار أنه لا يعيش فى فلسطين ، وهو يهتم بشرح وتفسير المصطلحات الآرامية التى يستخدمها» .

ويميل التراث المسيحى فعلاً إلى النظر إلى مرقس باعتبار أنه رفيق بطرس فى روما Peter's Companiom in Rome وهذا الاعتقاد يقوم على أساس من عبارات نهاية رسالة بطرس الأولى

(لوكان بطرس هو كاتب هذه الرسالة فعلا) . ويقال : إن بطرس قد كتب لمن وجه إليهم رسالته هذه : «إلى جماعة المختارين ببابل :» نحييكم وكذلك مرقس أخى .» وهناك شك فيما إذا جماعة المختارين أولئك فى «بابل» أو «فى روما» ونقرأ عن هذا الشك فى ملاحظات الترجمة المسكونية . ومن هنا يعتقد بعض المفسرين أنه يجوز استنتاج أن مرقس الذى كان مع بطرس فى روما هو المبشر... ولنا أن نسأل : هل هذا هو السبب الذى جعل «بابياس» ينسب الإنجيل موضوع دراستنا إلى مرقس الذى يقول عنه : إنه كان : «مترجما لبطرس» وأنه كان «مساعد لولس» أيضا؟ .

إن إنجيل مرقس على هذا الأساس يكون قد تمت كتابته بعد وفاة بطرس أى فى عام ٦٥ م أو ٧٠ م وفقا لوجهة نظر القائمين على شأن الترجمة المسكونية . وفى رأى «كولمان» أنه قد تمت كتابة هذا الإنجيل فى عام ٧٠ م .

وفى نص إنجيل مرقس عيب رئيسى لاجدال فيه وهو أنه لم يهتم بالتعاقب الزمنى للأحداث Chronology إن إنجيل مرقس يضع فى بدء روايته بالأصحاح الأول منه حكاية صيادى السمك الأربعة الذى دعاهم المسيح لكى يتبعوه قائلًا لهم ببساطة : «ستصيرون صيادى الناس» على حين أنهم لم يكن لهم سابق معرفة به . ويضاف إلى ذلك أيضا أن إنجيل مرقس يفتقر أيضا إلى المعقولية ، وفى ذلك يقول الأب روجيه : «إن مرقس كاتب غامض الأسلوب Clumsy writer وإنجيله هو أضعف الأنجيل The weakest of all evangelists . إنه فى رأى الأب روجيه-لا يعرف أبدا كيف يحرر حكاية . وللتدليل على ذلك يسرد الأب روجيه قصة الحواريين الاثنى عشر كما وردت فى إحدى فقرات إنجيل مرقس : «ثم صعد إلى الجبل ودعا الذين أرادهم فذهبوا إليه . وأقام اثنى عشر ليكونوا معهم ، وليرسلهم ليكرزوا ويكون لهم سلطان إخراج الشياطين . وجعل الاثنى عشر وفرض على سمعان اسم بطرس» (إنجيل مرقس ٣ : ١٣-١٦) .

إن إنجيل مرقس يتناقض أيضا فى مواضع كثيرة مع إنجيل متى ومع إنجيل لوقا بشأن بعض الأحداث كما هو الشأن بصدد آية يونا (يونس) ، وكذلك أيضا بشأن الآيات التى يعطيها المسيح للبشر أثناء بعثته . ويسرد إنجيل مرقس حكاية لم تعد قابلة للتصديق ومثال ذلك قوله : «فجاء الفريسيون وجعلوا يحاورون المسيح ، وليسوقوه إلى فخ طلبوا منه آية من السماء . فتنهد بروحه وقال : لماذا يطلب هذا الجيل آية . الحق أقول لكم : لن يعطى هذا الجيل آية» (إنجيل مرقس ٨ : ١١-١٢) .

ولاشك أن هذه القصة فى إنجيل مرقس تطلعننا على أن المسيح قد أكد بنفسه أنه لن يقوم بأى فعل غير طبيعى كآية أو معجزة كما طلب منه الفريسيون ذلك . ومن هنا يعجب المعلقون على الترجمة المسكونية للعهد الجديد من تصريح متى فى إنجيله من أن المسيح قد قال للفريسيين : إنه

لن يعطيهم إلا آية واحدة هي آية يونان «يونس» . وكذلك إنجيل لوقا يؤكد رواية إنجيل متى في هذا الصدد . (انظر : إنجيل لوقا ٧ : ٢٢) و (١١ : ٢٠) .

وعلى الرغم من أن إنجيل مرقس من الأناجيل التي تحظى باعتراف الكنيسة نجد أن علماء الكنيسة يعتبرون خاتمة هذا الإنجيل المنسوب إلى مرقس غير صحيحة وهي إضافة مزورة (إنجيل مرقس^(١) : ١٦ : ٩-٢٠) وتشير الترجمة المسكونية إلى هذا الاعتبار بكل صراحة .

إن هذا النص المشار إليه آنفاً في آخر إنجيل مرقس غير موجود في أقدم مخطوتين للأناجيل وهما مخطوطة كوديكس فاتيكانوس Codex vaticanus ومخطوطة كوديكس سينياتيكوس Codex sinaiticus اللتان يرجع تاريخهما إلى القرن الرابع الميلادي ، ويقول أ. كولمان في هذا الصدد وما نصه : «إن مخطوطات يونانية أحدث من هاتين المخطوطتين قد أضافت خاتمة لصور من ظهور المسيح بعد عملية الصلب دون الاستناد إلى إنجيل مرقس بل بالاستناد إلى أناجيل أخرى» . ونجد أن صياغات لصور ظهور المسيح بعد عملية الصلب إنما هي كثيرة جداً ، ونجد في هذا الصدد روايات طويلة جداً في بعض الأحيان ، ونجد نصوصاً مختصرة جداً في أحيان أخرى (تتضمن الترجمة المسكونية للعهد الجديد كلا النوعين) - ونجد الروايات المطولة مصحوبة ببعض الحواشي والتعليقات والشروح في بعض الأحيان .

ويعلق الأب كاتينجر على هذه الخاتمة الموجودة بآخر إنجيل مرقس المتعلقة بصعود^(٢) المسيح إلى السماء أمام الحواريين بقوله : «لا بد أنه قد حدث حذف للآيات الأخيرة عند التدوين الرسمي (أو عند النشر على العامة من الناس) لإنجيل مرقس بين أعضاء الجماعة التي كان مرقس ينتمي

(١) يقول نص إنجيل مرقس في الموضع المشار إليه أعلاه بالحرف الواحد عن المسيح بعد دفنه ما يلي : «وبعدما قام باكراً في أول الأسبوع ظهر أولاً لمريم المجدلية التي كان قد أخرج منها سبعة شياطين فذهبت وأخبرت الذين كانوا معه وهم يتوحدون ويكفون فلما سمع أولئك أنه حي وقد نظرته لم يصدقوا . وبعد ذلك ظهر بهيئة أخرى لاثنتين منهم وهما يمشيان منطلقين إلى البرية . وذهب هذان وأخبرا الباقيين فلم يصدقوا ولا هذين . أخيراً ظهر للأحد عشر وهم متكئون ووبخ عدم إيمانهم وقساوة قلوبهم لأنهم لم يصدقوا الذين نظروهم قد قام . وقال لهم : اذهبوا إلى العالم أجمع وكرزوا بالإنجيل للخليفة كلها ، من آمن واعتمد خلص ومن لم يؤمن يذنب . وهذه الآيات تتبع المؤمنين يخرجون الشياطين باسمي ويتكلمون بالسنّة الجديدة . يحملون حيات وإن شربوا شيباً ميتاً لا يضرهم ، ويضعون أيديهم على المرضى فيبرءون . ثم إن الرب بعدما كلمهم ارتفع إلى السماء وجلس على يمين الله ، وأما هم فخرجوا وكرزوا في كل مكان والرب يعمل معهم ويثبت الكلام بالآيات التابعة . آمين . ١٦ : ٩-٢٠) ولو ضربنا صفحاً عن مناقشة ما إذا كان المسيح قد مات على الصليب أو لم يمت أو عن أنه قام من بين الأموات أم أنه لم يكن قد مات أصلاً ، ولو ضربنا صفحاً عن إخراج الشياطين وعدم الموت من جراء شرب الأشياء الممتعة نجد أن الدهش حقاً هو ارتفاع المسيح إلى السماء وجلسه على يمين الله أمام الحواريين الأحد عشر ثم اعتراف علماء اللاهوت المسيحيين أنفسهم أن هذا النص يستحيل قبوله كنص صحيح بالكتاب المقدس . وتشير الملاحظة (Z) بالترجمة الإنجليزية للعهد الجديد - ص ٧١ من طبعة كولينز إلى أن بعض الوثائق والترجمات لا يوجد بها هذا النص (١٦ : ٩-٢٠) من إنجيل مرقس ، أي أنه إضافة وتزييف ، ولكنه موجود في الطباعات المتداولة حتى اليوم بأيدى الناس ، وتضيف طبعة كولينز نهاية أخرى لإنجيل مرقس تحت عنوان هو : «Another old End- ing» فمادام يصدق الناس بشأن هذه النصوص المقدسة بإنجيل مثل إنجيل مرقس ؟ (الترجم) .

(٢) ليست مسألة محسوسة هامة مثل الزعم بصعود المسيح حياً بجسمه إلى السماء أمام أنظار حواريه مسألة قليلة الأهمية . وإذا كانت هذه المسألة قد حدثت فعلاً فمن الغريب أن يتم حذفها ، ومن الغريب ألا يذكرها كتاب الأناجيل الأخرى ، ومن الغريب أن ينفرد مرقس بذكرها . وإذا كانت لم تحدث أصلاً فمن الغريب أن يذكرها مرقس في الإنجيل المنسوب إليه . (الترجم) .

إليها . إن إنجيل متى وإنجيل لوقا وإنجيل يوحنا على وجه الخصوص لم يتعرض أحدها لهذا الجزء الذى جرى حذفه من إنجيل مرقس فيما يتعلق بصعود المسيح إلى السماء أمام أنظار حواريه ؛ مما جعل هذه الفجوة فجوة يستحيل فهمها أو تبريرها أو تصورها . وبعد ذلك بكثير ، وبعد ظهور بعض النصوص المشابهة تم توليف خاتمة محترمة لمرقس وذلك بالاستعانة بعناصر من هنا ومن هناك لدى كتاب الأناجيل ، ومن السهل الاستدلال على استبعاد هذه المعضلة puzzle بالنظر إلى خاتمة إنجيل مرقس (بالأصحاح السادس عشر : ٩-٢٠) ويعطينا ذلك فكرة واضحة عن مدى «الحرية» التى كان كتاب الأناجيل يتمتعون بها عند كتابتهم نصوص الأناجيل حتى أعتاب القرن الثانى الميلادى .

ياله من اعتراف صريح^(١) ذلك الاعتراف الذى يقدمه لنا هذا العالم الكبير من علماء اللاهوت المسيحي !

الإنجيل وفقا لرواية لوقا The Gospel According to luke

يعتبر أ . كولمان أن لوقا كاتب قصص وروائي حقيقى "true novelist" هذا ، بينما ينبهنا الأب كانينجسر إلى أن لوقا بنفسه ينبهنا فى صدر إنجيله الذى وجّه كلامه إلى ثاوفيلس Theophilus إلى أنه (لوقا) بعد الآخرين الذين أنشئوا قصصا عن المسيح سينشئ^(٢) بدوره «حكاية» عن نفس الأحداث مستخدما هذه القصص ومعلومات الشهود المعانين - وذلك يعنى أنه ليس واحدا منهم - وذلك بالإضافة إلى المواعظ المستمدة من روايات الحوارين . إن هدف لوقا بناء على ذلك هو تدوين كتاب ذى حبكة قصصية مستمدة من عديد القصص ويقدم له لوقا بنفسه إذ يقول : «إذا كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة فى الأحداث التى وقعت كما نقلها إلينا الذين كانوا منذ البدء شهودا معانين وخداما للكلمة ، ورأيتُ أنا أيضا ، إذا تبعت كل شيء من الأول بتدقيق ، أن أكتب إليك ، أيها العزيز ثاوفيلس ، لتعرف صحة الكلام الذى علمت به .»

وهكذا ، منذ السطور الأولى فى إنجيل لوقا يستطيع القارئ أن يميز بين كتابة لوقا لإنجيله وبين كتابة مرقس وأسلوبه الغث فى الكتابة كما أوضحناه عندما تحدثنا عن إنجيل مرقس . إن إنجيل

(١) يا له من اعتراف صريح !! هل مارس كتاب نصوص الكتاب المقدس «الحرية» فى كتابة النصوص المقدسة وفقا لأهوائهم وميولهم الشخصية؟ إن هذا هو صميم المشكلة ! (المترجم) .

(٢) من الجدير بالذكر أن نورد نص كلام لوقا فى صدر إنجيله إذا يقول بالحرف الواحد ما نصه كما يلي : «إذا كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة فى الأمور المتيقنة عندنا كما سلمها إلينا الذين كانوا معانين وخداما للكلمة رأيتُ أنا أيضا إذ قد تبعت كل شيء من الأول بتدقيق أن أكتب على التوالى إليك أيها العزيز ثاوفيلس لتعرف صحة الكلام الذى علمت به .» (إنجيل لوقا ١ : ٤-٥) ومنه يتضح أن هدف لوقا هو تأليف قصة بتدقيق رأى هو أيضا أن يقوم بتأليفها اعتمادا على تمحيص القصص التى سبقه بتأليفها . (المترجم) .

لوقا عَمَلٌ أدبي متقن دون جدال في ذلك، وهو مكتوب في لغة يونانية^(١) كلاسيكية رائعة راقية تخلو من سَقَط الكلام وحوشيه .

إن لوقا أديب يوناني وثني آمن بالمسيحية . وموقف لوقا من المعتقدات اليهودية في غاية الوضوح . إن لوقا - كما يقرر ذلك أ. كولمان يحذف من روايته كثيرا من الحكايات والنصوص اليهودية الموجودة في كتابات مرقس ، ويبرز نصوص كلمات المسيح المعبرة عن كفر اليهود ، ويبرز نصوص كلمات المسيح التي كانت تدل على العلاقة الطيبة بين المسيح وبين السامريين الذين كان اليهود يهملونهم . هذا على حين أننا نجد أن متى يقول في إنجيله إن المسيح طلب إلى حواريه أن يتجنبوا السامريين ، وهذا مثال واضح للدلالة على أن الحواريين كانوا يضعون على لسان المسيح الكلمات التي كانت تتناسب مع وجهات نظرهم الشخصية . ولا ريب أن كلا منهم كان يفعل ذلك باقتناع مخلص ، ولا ريب أيضا في أن كلا منهم كان يعطينا من أقوال المسيح ما يتناسب فقط مع وجهات نظر الطائفة الدينية التي كان ينتمي إليها كل منهم .

كيف يمكن - والحال هي هذه - إنكار أن هذه الكتابات كانت كتابات خصومية أو كتابات أملت ظروف المخاصمات بين الطوائف المسيحية المتخاصمة كما سبق أن أسلفنا ؟

“ Combat writings or writings suited to an occasion.”

إن المقارنة بين نصوص إنجيل متى ونصوص إنجيل لوقا تقدم لنا برهانا واضح الدلالة في هذا الصدد .

من هو لوقا؟ Who was Luke لقد كانت هناك محاولة للتعرف على شخصية لوقا باعتبار أنه كان طبيبا اسمه لوقا ، وقد أشار إليه بولس وذكره في بعض رسائله . وتلاحظ الترجمة المسكونية للإنجيل « أن آثار مهنة الطب التي كان يمارسها لوقا قد ظهرت آثارها في معالجته للنصوص المعتلة وإصلاحه لشأنها ، كما كان لوقا يشخص ويعالج الحالات المرضية للناس الذين كان يتولى علاجهم من خلال اشتغاله بمهنة الطب » وهذا تقدير مبالغ فيه كل^(٢) المبالغة. إن لوقا لا يعطى تشخيصا ولا يوصى بعلاج من هذا النوع . والمفردات التي يستخدمها تدل فحسب على أنه كان « إنسانا مثقفا من مثقفي ذلك العصر a cultivated man of his time » وقصارى القول هو أنه كان هنالك شخص اسمه «لوقا» كان رفيق سفر لبولس في رحلاته . والسؤال هو : هل كان ذلك الشخص المدعو «لوقا» رفيق سفر لبولس هو نفس الشخص الذي كان طبيبا يدعى «لوقا» ؟ إن أ. كولمان يعتقد ذلك .

(١) هكذا تأثرت كتابة وصياغة نصوص الأنجيل بالثقافة اليونانية واللغة اليونانية والفلسفة اليونانية والفكر اليوناني وسنشهد أثر ذلك أكثر وضوحا عندما نصل إلى إنجيل يوحنا وهو أيضا مكتوب في أصوله باللغة اليونانية . (المترجم) .

(٢) يفهم من ذلك أن لوقا قد نجح في تشخيص وعلاج روايات الأنجيل السابقة المعتلة عن قصة حياة المسيح كما ينجح الطبيب في تشخيص وعلاج حالة مرضية لشخص مريض . ويرى المؤلف أن لوقا لم ينجح في تشخيص وعلاج مظاهر اعتلال قصص حياة المسيح في الأنجيل كما يوهم بذلك هذا التشبيه . (المترجم) .

إن تاريخ تحرير لوقا للإنجيل المنسوب إليه يمكن تحديده بالنظر إلى اعتبارات عديدة منها أن لوقا قد استعان في تحريره الإنجيل المنسوب إليه بنصوص إنجيل متى وبنصوص إنجيل مرقس ، وتقول الترجمة المسكونية للعهد الجديد : إن لوقا كان معاصرا لحصار القدس وتدميرها بواسطة جيوش طيطس Titus عام (٧٠ بعد الميلاد) ويمكن القول : إن إنجيل لوقا قد تم تحريره بعد هذا العام . ويحدد المؤرخون تاريخ تحريره فيما بين عام (٨٠) وعام (٩٠) بعد الميلاد ، ويحلوا لبعض مؤرخي الكتاب المقدس الارتداد بتاريخ تحرير هذا الإنجيل إلى تاريخ أكثر قدماً .

وتحتوى رواية إنجيل لوقا على اختلافات كثيرة عن رواية سابقه فى مواضع كثيرة تشير إليها الترجمة المسكونية فى صفحة (١٨١) وما بعدها .

ويذكر أ . كولمان فى صفحة (١٨) من كتابه : «العهد الجديد» روايات عن وقائع فى إنجيل لوقا غير موجودة فى الأناجيل الأخرى فيما يتعلق بأحداث برمتها وليس الاختلاف مجرد اختلاف فى التفاصيل .

ومثال ذلك ما يرويه إنجيل لوقا عن طفولة المسيح ، ويرويه إنجيل متى بشكل مختلف بينما لا يقول مرقس عن هذه الأحداث فى طفولة المسيح كلمة واحدة .

إن كلا من متى ولوقا يعطى كل منهما شجرة نسب مختلفة للسيد المسيح عليه السلام differ-ent genealogies of Jesus والتناقض بينهما فى هذا الصدد مهم جدا وهو يتناقض مع^(١) المعقولة من وجهة النظر العلمية إلى حد يتطلب أفراد هذا الموضوع بفصل خاص من الدراسة ، إن إنجيل متى إذ يتوجه بخطابه إلى اليهود يتدئ شجرة نسب المسيح بسيدنا إبراهيم - عليه السلام - ويجعلها تمر أيضا بسيدنا داود عليه السلام ، أما «لوقا» فهو وثنى آمن بالمسيحية ، وهو يهتم بأن يمد جذور هذه الشجرة إلى ما قبل سيدنا إبراهيم . وليس هذا فحسب ، ولكن القارئ سيجد أن شجرة نسب المسيح لا تتطابق أيضا بعد سيدنا داود عند متى ولوقا ، وسنجد أيضا أن تفاصيل رسالة المسيح ذاتها تختلف لدى كل من لوقا ومتى ومرقس .

إن مسألة هامة لدى المسيحيين ترقى إلى أهمية سر تناول القربان المقدس أو الأفخارستيا^(٢) The

(١) التناقض غير معقول وغير مقبول فيما يتعلق بتحديد شجرة نسب أى شخص لأن أى شخص إما أن يكون ابنا لرجل بعينه أو لا يكون ابنا له ، ولا وسط ، فهى مسألة لا يجوز أن يكون فيها خلاف كما هو حاصل ! (المترجم) .

(٢) تناول ومضغ وبلع قطعة من الخبز مع الاعتقاد بأنها جسد المسيح ، وتناول وانتلاع كمية من الخمر مع الاعتقاد بأنها دم المسيح . (المترجم) . لوقا ٢٢: ١٩-٢٤ : «وأخذ خبزا وشكر وكسر وأعطاهم قائلا : هذا هو جسدي الذى يذل عنكم . اصنعوا هذا لذكرى ، وكذلك الكأس أيضا بعد العشاء قائلا : هذه الكأس هى العهد الجديد بدمي الذى يسفك عنكم . ولكن هو ذا الذى يسلمنى هى معى على المائدة . وابن الإنسان ماض كما هو محتوم ولكن ويل لذلك الإنسان الذى يسلمه» . متى ٢٦: ٢٦-٣٠ : «وفيما هم يأكلون أخذ يسوع الخبز وبارك وكسر وأعطى التلاميذ وقال خذوا كلوا ، هذا هو جسدي . وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلا اشربوا منها كلكم . لأن هذا هو دمي الذى للعهد الجديد الذى يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا . وأقول لكم إنى من الآن لا أشرب من نتاج هذه الكرمة هذا إلى ذلك اليوم حينما أشربه معكم جديدا فى ملكوت أبى ثم سجدوا وخرجوا إلى جبل الزيتون» . والسؤال هو : ماذا قال يسوع بالضغط فى هذه المناسبة المحددة ؟ وهل ذكر يد ذلك الذى يسلمه كما قال لوقا أم لم يذكرها كما قال متى ؟ (المترجم) .

Eucharist نجد بشأنها خلافا كبيرا من وجوه كثيرة لدى لوقا ولدى غيره من أصحاب الأناجيل .
ويلاحظ الأب روجيه فى كتابه المعنون بعنوان : «مقدمة إلى الإنجيل» بالصفحة رقم (٧٥) أن
الكلمات التى يتحدث فيها لوقا عن سر الأفخارستيا كما نجد بها بالأصحاح (٢٢: ١٩-٢٤)
تختلف عن الكلمات التى يتحدث فيها إنجيل متى عن نفس المسألة بالأصحاح (٢٦: ٢٦-٢٩) ،
وتختلف عما ورد بشأنها فى إنجيل مرقس بالأصحاح (١٤: ٢٢-٢٤) وإن كان هناك تشابه بين
متى ومرقس فى هذا الصدد . هذا بينما تتطابق رواية لوقا فى هذا الصدد مع رواية بولس (الرسالة
الأولى إلى أهل كورنثوس ١١: ٢٣-٢٥) .

إن لوقا ، فى إنجيله كما رأينا يقول عن صعود المسيح قولاً يناقض ما يقوله فى «أعمال الرسل»
التي يجمع علماء الكتاب المقدس على أنه هو كاتبها، وهى جزء متمم للعهد الجديد .
إن لوقا فى الإنجيل المنسوب إليه يحدد تاريخ صعود المسيح بأنه قد حدثَ يوم عيد الفصح ،
ولوقا فى «أعمال الرسل» يجعل صعود المسيح بعد ذلك بأربعين يوما . وبالحال من تعليقات غريبة
تلك التعليقات التى يزوجها إلى الناس علماء الكتاب المقدس فى محاولاتهم لإزالة هذا التناقض !
ولكن علماء الكتاب المقدس ممن لا يرغبون فى تجاهل الموضوعية كل التجاهل لا ينكرون وجود
التناقض بل يحاولون التقليل والتهوين من أهميته عندما يقولون إن الاهتمام الأول عند لوقا ليس
هو الدقة المادية بل هو الدلالة المعنوية .

إن الأب كانينجسر مثلاً يقارن روايات «أعمال الرسل» وهى من تأليف لوقا نفسه بروايات
أخرى لنفس الأحداث فى حياة المسيح بعد قيامته عند بولس ثم يقول بالحرف الواحد : «إن لوقا هو
أكثر كتّاب الأناجيل الأربعة من حيث رفاة الحس والميل إلى التأدب، إنه يتمتع بكل مقومات
ومزايا الكاتب الروائى» .

الإنجيل وفقاً لرواية يوحنا

The Gospel According to John

يختلف إنجيل يوحنا اختلافا جذريا عن الأناجيل الثلاثة الأخرى ، وهو اختلاف كبير فعلا
لدرجة أن الأب روجيه فى كتابه المعنون بعنوان : «مقدمة إلى الإنجيل» بعد أن فرغ من تعليقه
على الأناجيل الثلاثة الأخرى قد قدم لنا على الفور تعليقا مدهشا عن هذا الإنجيل الرابع وهو
إنجيل يوحنا فقال عنه : «إنه عالم آخر a different world» . وإنجيل يوحنا بالفعل إنما هو كتاب
فريد فى نوعه unique book وهو مختلف عن غيره من الأناجيل فى أسلوبه style ومختلف عن
غيره فى جغرافيته وتضاريسه وأزمته أحداثه ، وهناك وجوه لاختلافه فى الأمور اللاهوتية كما
لاحظ ذلك أ. كولمان . إن أقوال المسيح تساق فى إنجيل يوحنا بشكل مختلف عن سياقها فى

الأناجيل الأخرى . ويلاحظ الأب روجيه في هذا الصدد أنه على حين تساق أقوال المسيح في الأناجيل الأخرى بأسلوب فيه كثير من التقرير بشأن النصوص المنقولة شفها نجد أن كل شيء في رواية إنجيل يوحنا لأقوال المسيح يبدو وليدا لتأمل عميق لدرجة أننا يمكن لنا أن نتساءل : هل المسيح نفسه هو الذى يتحدث أم أن أقواله قد صقلت بطريقة غير محسوسة وامتزجت بها تأملات يوحنا، كاتب هذا الإنجيل المعروف باسمه وقد مزج أقوال المسيح ومطها بإضافة أفكاره الخاصة إليها ؟

من هو مؤلف الإنجيل المعروف باعتبار أنه إنجيل يوحنا ؟

هذه المسألة إنما هي موضع مناقشات كثيرة ، وقد ظهرت بشأنها آراء شديدة التنوع .

والأب روجيه إنما هو واحد من أولئك الذين لا يساورهم أى شك فى أن يوحنا ، كاتب إنجيل يوحنا إنما هو أحد شهود العيان الذين شاهدوا وعانوا أفعال وأقوال المسيح ، إذ أنه هو «يوحنا بن زبدي» أخو «جاك» وهو الحواري المشهور ، صياد السمك ، كما ورد ذكره كثيرا فى كثير من الكتب الشائعة ، وتصوره الأيقونات الشعبية واقفا بجوار المسيح كما هو الشأن فى اللوحة المرسومة للعشاء الأخير قبل أن تتفاقم الآلام .. ومن ذا الذى لا يتخيل أن إنجيل يوحنا قد كتبه هذا اليوحنا بن زبدي ، الحواري المسيح ، المعروف جدا لدى العامة من أفراد الشعب المسيحي على توالى العصور ؟ إن التحرير المتأخر لهذا الإنجيل الرابع المعروف باعتبار أنه إنجيل يوحنا وثبت أنه قد تمت كتابته فى نهاية القرن الأول بعد الميلاد تقريبا لا يشكل عقبة تقوض هذا الاعتقاد ، وإن تحديد تاريخ كتابة إنجيل يوحنا باعتبار أنه قد كتب بعد ستين عاما بعد المسيح إنما هو أمر يتفق مع وجود حوارى كان صغير السن إبان حياة المسيح وعاش ما يقارب قرنا من الزمان فى نظر من يعتقدون أن يوحنا بن زبدي هو كاتب الإنجيل الرابع المعروف باسم إنجيل يوحنا .

إن الأب كانينجر ، فى دراسته عن القيامة ، قيامة المسيح من بين الأموات ، يصل إلى نتيجة أنه ليس هنالك كاتب من أصحاب الأناجيل يستطيع أن يعتبر نفسه شاهدا معائنا لقيامة المسيح من بين الأموات فيما عدا^(١) بولس . وبرغم ذلك نجد أن يوحنا فى الإنجيل المنسوب إليه ينسب لنفسه صفة كونه شاهدا معائنا لقيامة المسيح ، ونجد أن يوحنا أيضا يقص قصة ظهور المسيح بعد قيامته من بين الأموات أمام الحواريين كما لو كان واحدا منهم عندما كانوا مجتمعين بالحجرة العلوية ، وذلك بالأصحاح رقم (٢٠) : ١٩-٢٤ وكذلك هو الشأن عند ظهوره مرة أخرى بعد ثمانية أيام للحواريين مكتملى العدد^(٢) .

(١) زعم بولس أنه سمع صوت المسيح وهو فى طريقه إلى دمشق وليس سماع صوت المسيح كما زعم بولس مشاهدة من جانب بولس لقيامة المسيح من بين الأموات بعد ثلاثة أيام وثلاث ليال من دفنه فى قلب الأرض ، إن بولس لم يشهد هو الآخر قيامة المسيح من بين الأموات . وسماع صوت المسيح بعد زمان طويل من انقضاء الأيام الثلاثة والليالي الثلاث شيء آخر تماما . (الترجم) .

(٢) بمراجعة النص المذكور نجد أنه ليس فيه أبدا ما يقطع أن كاتب إنجيل يوحنا كان معائنا لظهور المسيح بعد قيامته المزعومة . وإنه يتحدث ليقدم وصفا لدخول المسيح إلى حيث كان يجلس الحواريون ويمكن أن يكون هذا الوصف قد بلغه بالتواتر ، وليس فى =

إن أ. كولمان فى كتابه عن العهد الجديد لا يقطع برأى فى موضوع صحة نسبة الإنجيل الرابع إلى يوحنا بن زبدي .

والترجمة المسكونية للإنجيل تقرر أن غالبية النقاد لا يوافقون على الافتراض القائل بأن الإنجيل الرابع تصح نسبته إلى يوحنا بن زبدي وإن كانت هذه النسبة احتمالا^(١) غير مستبعد تماما . وتقرر الترجمة المسكونية للإنجيل أن كل شىء يدل على أن النص المنشور حاليا باعتبار أنه الإنجيل الرابع أو إنجيل يوحنا إنما ينتمى إلى أكثر من كاتب واحد . وتقول الترجمة المسكونية بالحرف الواحد أيضا : « ويَحْتَمَلُ أن هذا الإنجيل المنسوب إلى يوحنا بشككه الذى نجده عليه اليوم قد كُتِبَ ونُشِرَ بواسطة تلامذة المؤلف الذين أضافوا الأصحاح رقم (٢١) كما أضافوا بعض الحواشى (مثل ٢ ، ٤ وربما أضافوا ٤ ، ١ ، ٤ ، ٤٤ ، ٧ ، ٣٧ ب ، ١١ ، ٢ ، ١٩ ، ٣٥) . أما ما يختص بشأن المرأة الزانية (الأصحاح ٥٣: ٧ إلى الأصحاح ١١: ٨) فالكل يتفق على الاعتراف بأن هذا النص مجهول الأصل ، وتمت إضافته فى زمن لاحق لظهور هذا الإنجيل (وإن ظل هذا النص المتعلق بالمرأة الزانية موجودا ومعترفًا به فى إنجيل يوحنا) . إن الفقرة من ١٩ إلى ٣٥ تبدو وكأن عليها إمضاء شاهد عيان فى نظر أ. كولمان وهو الإمضاء الوحيد الصريح فى كل إنجيل يوحنا . ولكن علماء الكتاب المقدس يجمعون على أنها فقرة مضافة إلى إنجيل يوحنا دون أى شك فى ذلك .

ويعتقد أ. كولمان أن الإضافات اللاحقة واضحة فى هذا الإنجيل كما هو الحال فى الأصحاح الحادى والعشرين الذى يُعْتَقَدُ أنه « قد كتبه أحد التلاميذ وقد أضاف أيضا بعض اللمسات إلى نص الإنجيل » .

ودون أن نعرض بالذكر لكثير من الافتراضات الأخرى التى قدمها المفسرون بشأن الكاتب الحقيقى لإنجيل يوحنا نجد أن أهم هذه الآراء بشأن مشكلة مؤلف الإنجيل الرابع تشير إلى وجود غموض وخلط فيما يتعلق بشأن حقيقة منشئ هذا الإنجيل .

إن القيمة التاريخية لنصوص إنجيل يوحنا موضع نزاع كبير وفيها وجهات نظر كثيرة . إن أوجه الخلاف والتعارض بينه وبين الأناجيل الثلاثة الأخرى كثيرة وواضحة . ولكننا نجد أ. كولمان يحاول تعليل ذلك . إنه يعترف أن ليوحنا أهدافا لاهوتية تختلف عن أهداف كتاب الأناجيل التى

= النص ما يحتم وجود يوحنا كاتب الإنجيل ضمن الحوارين لو لم يكن هو يوحنا بن زبدي ، والأرجح أنه ليس يوحنا بن زبدي صياد السمك الأمى الذى لم يكن يجيد الكتابة باللغة اليونانية . (المترجم) .

(١) لماذا الارتباك وإنجيل يوحنا مكتوب باللغة اليونانية وبأسلوب راق ملتزم بأصول وقواعد اللغة اليونانية بجمع كل النقاد على بلاغته وهو أمر غير متاح ليوحنا بن زبدي ، صياد السمك الذى تصفه « أعمال الرسل » بأنه كان قليل المعرفة ؟ كيف يتسنى لصياد سمك الكتابة باللغة اليونانية الخالية من الأخطاء والمتسمة بالبلاغة وبطابع فلسفى واضح منذ أول جملة فيه تقول : « فى البدء كان الكلمة » واصطلاح الكلمة اصطلاح فلسفى معروف مستمد من فلسفة هرقليطس إذ إن المقصود بالكلمة هو اللوجوس Logos ، أى العقل الذى ينظم كل شىء فى الوجود ؟ (المترجم) .

سبق ظهورها^(١) إنجيل يوحنا . وهذه الأهداف هي التي تقود اختيار روايات أقوال المسيح -Lo gia على نحو مختلف بين مختلف الأنجيل كما أنها قد شكلت الطريقة التي تم نقل أقوال المسيح من خلالها ، وهكذا نجد أن منشي أحد الأنجيل يستطرد ويستفيض في الكتابة ويضع على لسان المسيح ما أنزله الروح القدس على منشي هذا الإنجيل أو ذاك مما لم يجر به في حقيقة الأمر لسان المسيح ، وذلك هو السبب في عدم الاتفاق بين الأنجيل فيما ترويه على لسان المسيح وفقاً لرأى أ. كولمان .

ولا ريب في أن يوحنا وقد شرع في إنشاء إنجيله بعد الأنجيل الثلاثة السابقة كان يستطيع أن يختار بعض الروايات التي تصور معتقداته الشخصية بشكل أوفى وأوضح . ولا يلزم أن نندهش عندما لا نجد في إنجيل يوحنا كل أقوال المسيح الموجودة في الأنجيل الثلاثة السابقة ، والترجمة المسكونية تقدم أمثلة لكثير من الأقوال التي ذكرت الأنجيل الأخرى أن المسيح قد قالها وأهملها ولم يذكرها يوحنا في الإنجيل المنسوب إليه وذلك بالصفحة (٢٨٢) وما بعدها . ولكن وجود بعض الثغرات هو الذي يثير الدهشة ، ولا يكاد بعضها أن يكون معقولا كما هو الشأن بصدد القربان المقدس أو الأفخارستيا إذ كيف يمكن لنا أن نتصور أن يوحنا الذي يغلب على كتابه البلاغة والطابع الفلسفي لا يتحدث عن هذا الموضوع الحيوي الرئيسي الذي يعتبر ركنا أساسيا من أركان الطقوس المسيحية في كل قداس مسيحي يتم في كل كنيسة ؟ إن يوحنا يكتفي هنا في وصفه للعشاء الأخير بوصف قيام المسيح بغسل أقدام الحواريين والتنبؤ بخيانة يهوذا الأسخريوطى وكيفية إنكار بطرس للمسيح .

وعلى العكس من ذلك نجد أنه كما أن يوحنا قد أغفل بعض الأقوال والأفعال المنسوبة إلى المسيح نجد أنه قد أضاف روايات لم يرد لها ذكر في الأنجيل الثلاثة السابقة . والترجمة المسكونية للمعهد الجديد تشير إلى ذلك بالصفحة رقم (٢٨٣) وما بعدها . وربما يقول قائل : إن مؤلفي الأنجيل الثلاثة الأخرى لم يروا هذه الوقائع التي انفرد بذكرها إنجيل يوحنا ورآها يوحنا وحده ، ولكن كيف لا نندهش عندما يصف يوحنا نفسه ظهور المسيح للحواريين عند بحيرة طبرية بعد أن قام من بين الأموات ولم يكونوا يجدون سمكا يصطادونه حتى أمرهم المسيح بالصيد من مكان معين^(٢) فوجدوا سمكا كثيرا كما تطالعنا بذلك بداية الأصحاح الحادى والعشرين من إنجيل

(١) ليس في الأنجيل الثلاثة السابقة في الظهور على إنجيل يوحنا جملة واحدة يقول فيها المسيح عليه السلام : «أنا إله» أو «أنا الله» أو يقول فيها المسيح للناس «اعبدوني» وعندما أراد أباطرة الرومان تأليه المسيح فيما يعرف بالمذهب الميكاني ، أزعجهم عدم وجود نص صريح بالأنجيل الثلاثة يفيد ألوهية المسيح ، فكلفوا شخصا يونانيا متعلما بليغا بكتابة إنجيل رابع يصرح فيه بألوهية المسيح ، فكان هذا الإنجيل الرابع . وعندما يطالب المسيحيون بالعثور على نص بالمعهد الجديد يفيد ألوهية المسيح يهرعون إلى إنجيل يوحنا وحده دون غيره مثل النص القائل: «أنا والآب واحد» مع أنه لا يدل دلالة حاسمة على ألوهية المسيح إذ إن التوحد هو توحد في القصد والهدف كما نقول لصاحبك أنا وأنت واحد . (المترجم) .

(٢) إن تعليل إضافة يوحنا لبعض الأقوال والأحداث التي ينسبها إلى المسيح ولم يرد لها ذكر في الأنجيل الأخرى بأن يوحنا قد شهدا ولم يشهدا الآخرون تعليل واه إذ أن يوحنا ينفرد بذكر وقائع يقول هو نفسه إنه لم يكن منفردا بالمسيح عند وقوعها . (المترجم) .

يوحنا وهو مالم يرد له ذكر فى إنجيل آخر ؟ (يوحنا ٢١ : ١-١٤) .

وليست هذه الرواية فى بداية الأصحاح الحادى والعشرين من إنجيل يوحنا إلا نقلاً مع كثير من الإضافات من معجزة الصيد التى رواها إنجيل لوقا (الأصحاح ٥ : ١-١١) ولكن كحادثة وقعت فى حياة المسيح قبل محاولة صلبه وقبل الزعم بقيامته من الأموات ولقد أشار لوقا إلى وجود يوحنا بن زبدي فى هذه الحادثة . إن وجود هذه الحكاية عن صيد السمك فى إنجيل يوحنا بالأصحاح (٢١) مع اتفاق الجميع على أنها إضافة لاحقة يجعل من اليسير أن نتصور أن مجرد ذكر اسم يوحنا فى رواية لوقا يدفع بعض الناس إلى تصور أن يوحنا بن زبدي الذى كان موجوداً مع المسيح فى هذه الحكاية هو صاحب إنجيل يوحنا . ولذلك لم يتردد الشخص الذى أضاف الأصحاح الحادى والعشرين من إنجيل يوحنا فى تحويل حَدَثٍ وقع فى حياة المسيح قبل محاولة صلبه إلى حدث وقع - فيما تصور - بعد محاولة الصلب^(١) وبعد قيامة المسيح .

وهناك أيضاً تناقضات أخرى على جانب كبير من الأهمية بين إنجيل يوحنا والأنجيل الأخرى . هنالك مثلاً التناقض المتعلق بالفترة الزمنية لبعثة المسيح : يحددها مرقس ومَتَّى ولوقا بمدة عام واحد . وتمتد عند يوحنا إلى عامين ، ولقد أشار أ. كولمان إلى هذا التناقض . وتقول الترجمة المسكونية للعهد الجديد عن هذا التناقض ما نصه : «على حين تحدثنا الأنجيل الثلاثة باتفاق عن فترة من الزمن قضاها المسيح بالجليل ثم كانت مسيرته نحو الناصرة ثم فترة أخرى قصيرة بالقدس نجد أن يوحنا يحدثنا عن انتقالات أخرى متعددة للمسيح لم يرد ذكرها بالأنجيل الثلاثة الأخرى ويحدثنا عن مدة أكثر طولاً بالناصرة وبالقدس على وجه خاص (١ : ١٩ - ٥١ ، ٢ : ١٣ ، ٣ : ٣٦ ، ٥ : ١ ، ٦ : ٤ ، ١١ : ٥٥) وهو بهذا يوحى بأن بعثة المسيح قد امتدت أكثر من عامين» .

من نصدق فى ظل هذه التناقضات فى هذه الأمور الهامة ؟ هل نصدق مَتَّى ؟ أم نصدق مرقس ؟ أم نصدق لوقا ؟ أم نصدق يوحنا ؟

(١) يقول كاتب الأصحاح الحادى والعشرين من إنجيل يوحنا : «هذه مرة ثالثة ظهر يسوع لتلاميذه بعد ما قام من الأموات» (يوحنا ٢١ : ١٤) هذا بينما يجعل لوقا نفس الحكاية عن صيد السمك فى حياة المسيح قبل محاولة الصلب . وذلك بالأصحاح الخامس من إنجيل لوقا . نصدق من ؟ ونكذب من ؟ (المترجم) .

مصادر الأناجيل

Sources of the Gospels

إن الخطوط العامة التي أوضحناها فيما سبق بعد أن استخلصناها من الفحص النقدي لنصوص الأناجيل تفضي بنا إلى أن نعتقد أن هذه النصوص بتلك الأناجيل إنما هي من الكتابة الأدبية الإنشائية literature «المفككة المفتقرة إلى الحبكة الدقيقة لتصل إلى الاكتمال ، ويبدو عليها سمات التناقضات الواضحة» وهذه هي الأوصاف المستخدمة بالطبعة المسكونية للعهد الجديد . وهي الطبعة التي يهمننا الرجوع إليها في هذا الصدد حيث إن نتائج بحث هذا الموضوع إنما هي نتائج جد خطيرة . ولقد رأينا أن بعض المعلومات عن تاريخ ميلاد الأناجيل يعطينا بوضوح السمات الأساسية لهذه النصوص الموجودة بكل منها ممّا يفضي بالقارئ لنصوصها إلى كثير من البلبلة ، ومن الضروري عدم الاكتفاء بهذه الملاحظة ، ومن اللازم أن نمضي قدماً لنطلع على الدراسات والأبحاث التي تم نشرها في العصر الحديث عن المصادر التي استمد منها أصحاب الأناجيل نصوص كل منها لاستخلاص النتائج التي أمكن الوصول إليها في عصرنا الحديث .

لقد تعامل آباء الكنيسة مع مصادر كل إنجيل من الأناجيل بمنتهى البساطة دون بحث كاف أو تمحيص دقيق . وفي القرون المسيحية الأولى كان المصدر الوحيد المتاح لنصوص العهد الجديد يتمثل في المخطوطات التي وجدت أولاً مثل نصوص إنجيل متى . وكان الاهتمام بمصادر النصوص يتم بحته فقط بالنسبة لنصوص إنجيل مرقس وإنجيل لوقا^(١) أما إنجيل يوحنا فهو يشكّل حالة فريدة قائمة بذاتها دون مثيل ، وكان القديس أوغسطين Saint Augustine يعتقد أن مرقس الذي يعتبر من الجيل التالي لجيل الحواريين قد اقتبس نصوص إنجيله عن إنجيل متى وأن مرقس إنما قام بتلخيص نصوص إنجيل متى في الإنجيل المنسوب إلى مرقس . والقديس أوغسطين يعتبر أيضاً أن إنجيل لوقا الذي يعتبر من الجيل الثالث بالنسبة إلى الحواريين قد استمد معلوماته من إنجيل متى ومن إنجيل مرقس كليهما . إن أقوال القديس أوغسطين تعطينا هذا الانطباع عن الأناجيل الثلاثة كما أشرنا إليه .

إن علماء الكتاب المقدس في العصر الحديث يستطيعون - كما نستطيع نحن أيضاً - أن يجدوا وجوهاً من الاتفاق بين اثنين أو بين ثلاثة من الأناجيل في بعض الروايات لبعض الأحداث ويجعلها محررو الترجمة المسكونية للعهد الجديد كما يلي :

- نصوص مشتركة بين ثلاثة أناجيل (متى وماركس ولوقا) = ٣٣٠ .

(١) لم يكن لوقا مثلاً من الحواريين ، فبرز التساؤل عن المصدر أو المصادر التي اعتمد عليها في كتابة الإنجيل المنسوب إليه . (المترجم) .

-نصوص مشتركة بين إنجيل مرقس وإنجيل متى = ١٧٨ .

- نصوص مشتركة بين إنجيل مرقس وإنجيل لوقا = ١٠٠ .

- نصوص مشتركة بين إنجيل متى وإنجيل لوقا = ٢٣٠ .

ويستخلصون أيضا أن النصوص غير المشتركة لكل منهم على حدة هي :

- متى = ٣٣٠ نصاً .

- مرقس = ٥٣ نصا .

- لوقا = ٥٠٠ نص .

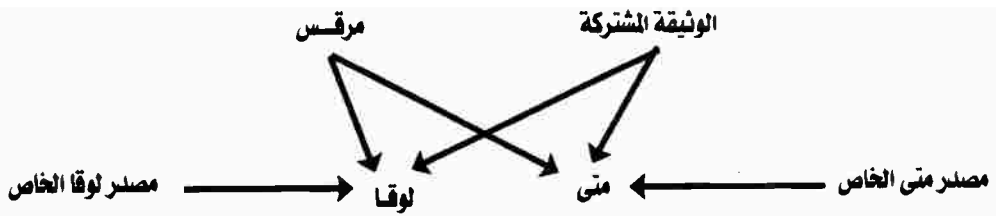
ومنذ عصر الآباء الأوائل للكنيسة ، وحتى نهاية القرن الثامن عشر ، انقضى ألف وخمسمائة عام دون إثارة مشاكل جديدة بشأن مصادر الأناجيل . لقد كان الامتثال للنصوص والقبول بها سائدا ، وفي العصر الحديث فقط ، ومع ظهور معالم القراءة النقدية ظهرت التناقضات التي أشرنا إليها وأدركنا أن كل واحد من أصحاب الأناجيل المعروفين قد أنشأ رواية على طريقته الخاصة وحسب وجهات نظرة الشخصية وميوله مع الاعتماد على المعلومات التي وجدها عند الآخرين .

“Each Evangelist had taken material found in the others and compiled his own specific narration guided by his own personal views.”

وعندئذ اهتم الباحثون اهتماماً كبيراً بجمع التراث الشفهي للطوائف الأصلية من جهة، واهتموا بالرجوع إلى المصدر المكتوب باللغة الآرامية ممّا أمكن العثور عليه من جهة أخرى . وربما كان هذا المصدر الآرامي المكتوب يشكل المادة الخام المكونة من مقتطفات شتى ربما يكون بعضها قد اعتمد عليه كاتب هذا الإنجيل ، كما اعتمد كاتب إنجيل آخر على مقتطفات أخرى في كتابة نصه الأصلي في الإنجيل المنسوب إليه .

ومنذ قرن تقريبا ، توصلت أبحاث أكثر تدقيقا إلى نظريات أكثر دقة وأكثر تعقيدا مع مرور الأيام . وأول وأقدم هذه النظريات هي النظرية المعروفة باعتبار أنها نظرية المصدرين لدى هولتزمان (١٨٦٣) Holtzmann ووفقا لهذه النظرية كما أشار إليها أ . كولمان وأشارت إليها الترجمة المسكونية للعهد الجديد نجد أن متى ولوقا قد اقتبسا في إنجيل كل منهما من نصوص إنجيل مرقس كما أنهما اعتمدا على نص لم يتم اكتشافه حتى اليوم من جهة أخرى .

ويضاف إلى ذلك أيضا أن متى ولوقا كانت لدى كل منهما مصادره الخاصة أيضا . وقد أفضت هذه النظرية إلى ظهور الرسم البياني التوضيحي التالي تعبيرا عن نظرية هولتزمان هذه كما يلي :



وينتقد أ. كولمان نظرية هولتزمان هذه على النحو التالي :

١- من الضروري أن يكون النص الذي اقتبس منه كل من لوقا ومتى نصا سابقا على نص إنجيل مرقس . (كان متى من الحواريين ولم يكن مرقس من الحواريين) .

٢- لا تعطى هذه النظرية أهمية كافية للتراث الشفهي حيث إنها تنحصر في نطاق الاقتباس من نص مكتوب لدى مرقس ، على حين أن التراث الشفهي هو المصدر الأول الذي حفظ تراث المسيح طيلة ثلاثين أو أربعين سنة (حتى بدء ظهور أول إنجيل مكتوب) . ولم يكن صاحب أى إنجيل إلا معبرا عن آراء الطائفة المسيحية التي كان ينتمي إليها .

أما أحدث النظريات في مجال نقد النصوص الموجودة بالإنجيل فقد أوضحت أن هذه المسألة إنما هي أكثر تعقيدا إذا تطلعتنا مقدمة طبعة الأنجيل الأربعة المتوافقة للأب بينوا Benoit والأب بومار Boismard بمعهد الكتاب المقدس بالقدس (١٩٧٢-١٩٧٣) أن نصوص الإنجيل قد تطورت في مراحل متعددة تبعا لتطور التراث . وقد أدى هذا التطور إلى نتائج عرضها الأب بينوا في تقديمه للجزء الذي حرره الأب بومار في الكتاب المشار إليه بقوله : « إن أشكال وأنماط النصوص في الإنجيل إنما نتجت عن تطور طويل للتراث ، وهي في تطورها هذا لا تتمتع بصحة وعفوية وتلقائية الأقوال والروايات التي استمدت منها في التراث الشفهي . وقد يدهش بعض قراء هذا الكتاب ، وقد يشعر بعد القراء بالحرص عندما يجد أن قولاً منسوباً إلى المسيح ، أو رواية عن بعض أفعاله أو تقريراً بشأن مصيره موجود في التراث الشفهي على نحو مغاير لما يقرؤه اليوم في الإنجيل إذ إن أولئك الذين نقلوا الكلام إلينا في الإنجيل قد أجروا عليه وأدخلوا فيه لمسات وتعديلات . إن أولئك الذين لم يعتادوا هذا النوع من التمهيص التاريخي لنصوص الكتاب المقدس يجدون هنا مصدراً للدهشة التي تصل أحيانا إلى حد الاستنكار إن هذه اللمسات وتلك التعديلات التي أشار إليها الأب بينوا ، والتي مارسها أولئك الذين كتبوا ونقلوا نصوص الإنجيل إلينا قد شكلت تداخلا في الروايات عبر عنه الأب بومار برسم بياني فيه تطوير لنظرية المصدرين ولقد أنجز الأب بومار هذا الرسم البياني بعد كثير من التمهيص والفحص والتدقيق ومقارنة بين نصوص الإنجيل بشكل يستحيل علينا تلخيصه . وإذا أراد القارئ المهتم الحصول على تلك

التفاصيل فهو يستطيع الرجوع إلى الكتاب المعنون بعنوان «الأنجيل الأربعة المتوافقة» وقد قامت دار نشر «سيرف» بباريس بطبعه ونشره .

وخلاصة القول فى هذا الصدد هو أن هنالك أربعة مصادر أساسية يمكن الرمز إليها بالحروف (أ، ب، ج، ق) وهى تمثل المصادر الأصلية للأنجيل . (انظر الرسم البيانى التالى) .

- الوثيقة (أ) وثيقة ترجع إلى الأوساط اليهودية المسيحية وهى الوثيقة التى اعتمد عليها كل من متى ومرقس .

- الوثيقة (ب) فيها شروح وتفسير لمحتويات الوثيقة (أ) وقد استخدمتها الكنائس الوثنية المسيحية وقد اعتمد عليها كتاب الأنجيل باستثناء إنجيل متى .

- الوثيقة (ج) اعتمد عليها كل من مرقس ولوقا ويوحنا .

- الوثيقة (ق) تشير إلى المصادر الشائعة بين كل من متى ولوقا . وهى تعتبر «الوثيقة المشتركة» التى تشير إليها نظرية المصدرين التى سبق لنا أن أشرنا إليها .

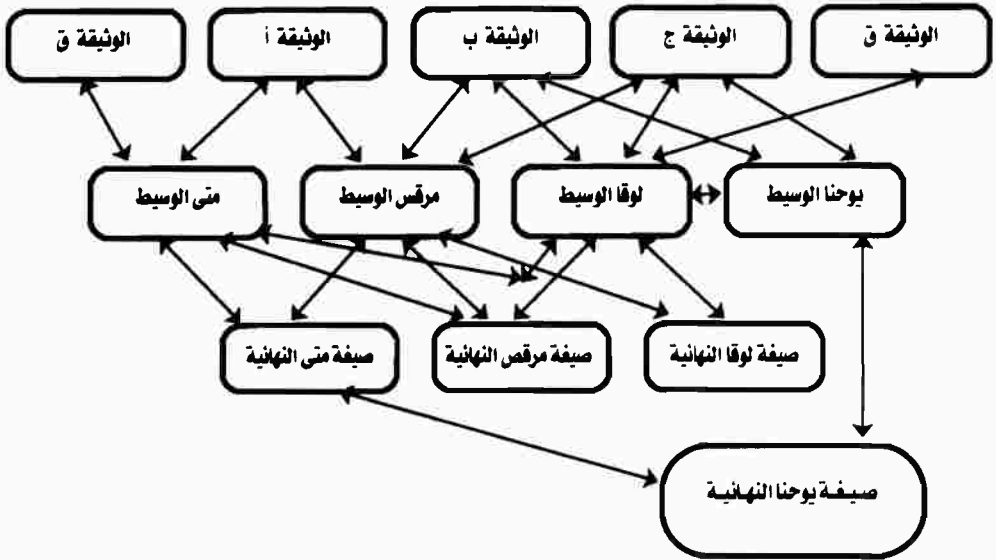
ولم يؤد أى مصدر من هذه المصادر بمفرده إلى تحرير نصوص الأنجيل الموجودة بين أيدينا اليوم . إن بين هذه المصادر وبين التحرير النهائى لنصوص كل من الأنجيل المعروفة لدينا نصوصا وسيطة ظهر أثرها فى صياغة كل إنجيل من الأنجيل المعروفة عندنا اليوم . ولابد من الرجوع إلى الرسم البيانى التالى ليتمكن لنا متابعة الشبكة المعقدة التى اكتشف المؤلفان خيوطها .

والنتائج التى توصل إليها مؤلفا الكتاب المشار إليه نتائج فى غاية الأهمية . إنهما قد تمكنا من إثبات أن نصوص الأنجيل إنما وصلت إلينا بعد خضوعها لعمليات تطور ذى مراحل تاريخية . إن هذه النصوص لا تحظى بأن لها تاريخا فحسب بل تتميز بأن لها «تاريخا لما قبل التاريخ» ، ولو استخدمنا نص تعبير الأب بومار :

They show how the Gospel texts not only have a history (to be discussed later) but also "a pre-history".

ومعنى ذلك أن نصوص الأنجيل قبل ظهورها فى صيغتها الموجودة بين أيدينا اليوم قد خضعت لتعديلات فى مرحلة الوثائق الوسيطة ، ومن ذلك يتضح لنا السبب فى أن حكاية معروفة شهيرة مثل حكاية معجزة صيد سمك كثير بعد أن كان الصيادون قد يمسوا من وجود سمك؛ يقدمها لنا إنجيل لوقا باعتبارها حدثا وقع فى حياة المسيح ، على حين يقدمها لنا يوحنا باعتبار أنها حدث من حوادث ظهور المسيح للحواريين بعد قيامته كما سبق أن أشرنا إلى ذلك بشيء من التفصيل .

م. ١. بومارفس كتابه
الأناجيل الأربعة ذات الاتساق
الرسم البياني العام



ومنه يتضح ما يلي :

- الوثائق ا، ب، ج، ق : وثائق أساسية تم استخدامها في الصياغة النهائية لنصوص الأناجيل .
- الوسيط : وثائق تم استخدامها في الصياغة الوسيطة التي سبقت الصياغة النهائية لنصوص الأناجيل .

تاريخ النصوص

History of the texts

يخطئ من يعتقد أن الأناجيل بمجرد تحريرها كانت تشكّل الكتب المقدسة الأساسية للمسيحية^(١) الوليدة ، أو أن المسيحيين الأوائل قد اعتمدوا على الأناجيل ككتب مقدسة مثلما كانوا يعتمدون على العهد القديم أو التوراة*. وكانت نزعة التجديد في اليهودية تعتمد في ذلك الوقت على نصوص التوراة بالإضافة إلى التراث الشفهي الذي كان يتضمن أقوال المسيح وتعاليم حواريه من بعده . وأول من ساد في هذا الصدد هو كتابات بولس قبل ظهور الأناجيل بحيث إن المرء يتساءل : ألم تكن هنالك أى أناجيل مكتوبة قبل كتابات بولس بعشرات السنين ؟

ولقد لاحظنا أنه قبل سنة ١٤٠ بعد الميلاد لم يكن هنالك ما يدل على وجود الكتابات الإنجيلية المعروفة على العكس مما يكتبه بعض الباحثين حتى اليوم . لقد كان من الضروري أن ينتظر المسيحيون حتى عام ١٧٠ بعد الميلاد حتى تكتسب الأناجيل صفة النصوص المقدسة المعترف بها لدى الكنائس .

كان هنالك تداول لكثير من الكتابات عن المسيح في العصور الأولى للمسيحية ، غير أنه لم يتم الاعتراف الرسمي من جانب الكنيسة بكل تلك الكتابات باعتبارها كتابات صحيحة موثوقة بصحتها ، ولقد أوصت الكنيسة بإخفاء كثير من هذه الكتابات ومن هنا جاءت تسمية الأناجيل المزورة Apocrypha وإن بقي من هذه الأناجيل التي دمغتها الكنيسة باعتبار أنها أناجيل مزورة بعض الأناجيل ظلت متداولة لأنها كانت تتمتع (بالتقدير العام generally valued لدى طوائف شعبية من المسيحيين الأوائل على حد قول الترجمة المسكونية للعهد الجديد ، ومن ذلك إنجيل برنابا Barnabas ولكن هنالك أناجيل أخرى تم استبعادها بشكل حاسم وعنيف ، ولم يتبق منها إلا شذرات، واجتهدت الكنيسة في ملاحقتها للقضاء عليها لأنها من وجهة نظر الكنيسة كانت تتضمن كثيرا من الأخطاء العامة المؤثرة على الناس . وعلى الرغم من كل جهود الكنيسة في هذا الصدد ظلت أناجيل معينة تحظى بقسط كبير من الانتشار والذيع بين المسيحيين الأوائل مثل : إنجيل الناصرة وإنجيل العبرانيين وإنجيل المصريين ، وهى أناجيل ظلت مشهورة للإشارات المتعددة إليها من جانب آباء الكنيسة ولوجود أناس كثيرين يعتدون بها ويؤمن بمصداقيتها الغالبية العظمى من هذا الشعب أو ذاك ، وهو الشأن الذى ينطبق أيضا على إنجيل توما وإنجيل برنابا .

(١) كان المسيحيون الأوائل دون ريب يعتبرون أنفسهم «يهودا» لهم فهمهم الخاص بهم الصحيح من وجهة نظرهم للعقيدة وللشريعة اليهودية وفقا لتوجيهات المسيح وإرشاداته . كيف لا والمسيح نفسه ما جاء لينقّض الناموس أو التوراة بل ليتمممه بتصويب ما حرفة وأساء فهمه اليهود ؟ كيف لا وقد صرح بولس عندما ثار عليه زملاؤه لإباحته عدم الختان بأنه يهودى فريسي . وليس عجيبا أن تظل التوراة بعد سيدنا عيسى كتابا مقدسا لدى أتباعه . (المترجم) .

إن بعض هذه الكتابات والنصوص التي اعتبرها آباء الكنيسة نصوصا مزورة تحتوى بالفعل على تفاصيل خرافية أفرزها الخيال الشعبي ، ولذلك نجد أن بعض علماء الكتاب المقدس يعرضون وهم في غاية الاغتياب مقاطع ونماذج عديدة من هذه النصوص التي تدعو تفاصيلها حقا إلى السخرية . ومن المدهش أننا نجد فقرات من هذا النوع الخرافي لاتزال موجودة في الأناجيل المعترف بها من جانب الكنيسة . ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ذلك الوصف الخرافي للأحداث^(١) التي يدعى متى في إنجيله أنها قد حدثت عند موت المسيح فيما زعم متى . وبناء على ذلك فإننا نجد فقرات لا تزال موجودة بالعهد الجديد تفتقر إلى الواقعية والمعقولة والجدية في كل كتابات العصر المسيحي الأول ، ومن الضروري أن يتحلى علماء الكتاب المقدس بالشجاعة الكافية لكي يحوزوا شرف الاعتراف بهذه الحقيقة .

ولقد أفضت كثرة الروايات المتناقضة عن المسيح إلى أن تستبعد الكنيسة منذ قيام كيائها كثيرا من النصوص المتعلقة بالمسيح . وربما يصل عدد الأناجيل التي تم استبعادها مئة إنجيل ! وتم الاعتراف بأربعة أناجيل فقط لتكون ضمن العهد الجديد ، وهي التي تشكل ما يسمى بالكتب المعترف بها من جانب الكنيسة : Canon .

وفي منتصف القرن الثاني بعد ميلاد المسيح ، دفع مارسيون Marcion السلطات الكنسية بحزم وصرامة نحو رفض نصوص التوراة ونحو عدم التقيد بها فيما يتعلق بعقائد الإيمان المسيحي إذ كان مارسيون خصما وعدوا لدودا لليهود وللممارسات اليهودية التي تهتم بقشور ومظاهر التدين ، كما أن مارسيون لم يعترف إلا بإنجيل لوقا لأن لوقا في رأى مارسيون كان هو المتحدث باسم بولس والأمين على كتابات وتعاليم بولس .

ولم ترتض سلطات الكنيسة إبان نشاط مارسيون في ترويج اتجاهه هذا مسلك مارسيون . اعترفت سلطات الكنيسة آنذاك بكل كتابات بولس ، ولكنها اعترفت أيضا بالأناجيل الأخرى ، إنجيل متى ، وإنجيل مرقس ، وإنجيل لوقا ، وإنجيل يوحنا ، كما ألحقت بالعهد الجديد أيضا بعض الكتابات الأخرى مثل « أعمال الرسل » . وكانت القائمة الرسمية للكتابات المعتمدة لدى الكنيسة تتغير وتتبدل وتتسع أحيانا وتضيق في أحيان أخرى في القرون الأولى من العصر المسيحي . وهنالك أناجيل كانت تعتبر ضئيلة القيمة أو مزورة وكانت تمثل مكانا مؤقتا في قائمة الأناجيل المعتمدة حتى يتم التنبيه في مؤتمر على أنها مزورة ، وبعض الأناجيل التي لاتزال موجودة في العهد الجديد كانت مستبعدة في بعض الأوقات ثم أعيدت ، ولقد استمر هذا التذبذب بين اعتماد بعض الأناجيل أو استبعادها حتى انعقد مجمع هيبون المسكوني في عام ٣٩٣ بعد الميلاد ثم مجمع

(١) « وإذا حجاب الهيكل قد انشق إلى التين من فوق إلى أسفل . والأرض تزلزلت والصخور تشقق . والقبور تفتحت وقام كثير من أجساد القديسين الراقيين وخرجوا من القبور بعد قيامته ودخلوا المدينة المقدسة .. إلخ » (متى ٢٧: ٥١-٥٦) .

قرطاجنة المسكونى فى عام ٣٩٧ بعد الميلاد . وظلت الأناجيل الأربعة المعروفة موجودة بالعهد الجديد .

ولانملك فى الوقت الحالى إزاء الأناجيل التى لم يتم الاعتراف بها مما أفضى إلى ضياعها سوى الأسف مع الأب بومار . كانت أناجيل كثيرة ، وكانت لها قيمتها التاريخية ، ولقد أعطاها الأب بومار مكانا لائقا وكمية مناسبة من الدراسة فى كتابه عن «الأناجيل الأربعة» . ويلاحظ أن هذه الأناجيل كانت موجودة بمكتبات بعض الكنائس حتى نهاية القرن الرابع الميلادى .

لقد شهد هذا القرن الرابع الميلادى شيئا من التنظيم الجاد فيما يتعلق بنصوص الأناجيل والكتابات التى ينبغى أن يتضمنها العهد الجديد والأناجيل والكتابات التى ينبغى استبعادها وإخفاؤها والقضاء عليها . وترجع أقدم المخطوطات التى بحوزتنا فى هذا الصدد إلى هذا القرن الرابع الميلادى . ومن الوثائق السابقة على هذا القرن برديات يرجع تاريخها إلى القرن الثالث الميلادى . وتوجد بردية يرجع تاريخها إلى القرن الثانى الميلادى ، ولكنها لا يوجد بها إلا أجزاء غير مكتملة من بعض الأناجيل ، أما أقدم مخطوطتين من الرق (الجلد) فهما مخطوطتان يونانيتان مكتوبتان باللغة اليونانية يرجع تاريخ كل منهما إلى القرن الرابع الميلادى ، وهما الوثيقتان المعروفتان باسم الكودكس فاتيكانوس Codex Vaticanus والكودكس سينايتيكوس Codex Sinaiticus وأولاهما محفوظة بمكتبة الفاتيكان، ومكان اكتشاف الأولى مجهول ، أما الثانية فقد تم اكتشافها فى سيناء، وهى محفوظة بالمتحف البريطانى وتتضمن الوثيقة الثانية نص إنجيلين من الأناجيل غير المعترف بصحتها .

وتقول الترجمة المسكونية للعهد الجديد : إنه يوجد مائتان وخمسون مخطوطة أخرى معروفة يرجع آخرها إلى القرن الحادى عشر ، وتقول الترجمة المسكونية للعهد الجديد بهذا الصدد أيضا : «وكل نسخ العهد الجديد التى وصلت إلينا ليست متطابقة بل على العكس من ذلك يمكن أن نميز فيها فروقا تختلف من حيث درجة الأهمية ، وعددها على أى حال كبير . وبعض هذه الاختلافات تتعلق بالنحو والصرف وتقديم أو تأخير الكلمات والعبارات فى الجمل والتراكيب اللغوية ، وفى بعضها الآخر اختلافات وتناقضات هامة تختلف فى المعنى فى فقرات بأكملها» . وإذا أردنا أن ندرك هذه الاختلافات فيكفى الرجوع إلى العهد الجديد اليونانى Novum Testamentum Graece الذى أشرف على تحريره نستله وآلاند Nestle - Aland

وقامت بطبعه ونشره جمعية الكتاب المقدس فى لندن عام ١٩٧١ ، وهو كتاب يحتوى على نص يونانى يقال إنه «متوسط» وتشتمل هوامشه وحواشيه على كثير من أوجه الخلاف بين مختلف النصوص المتعلقة بالأناجيل .

إن مصداقية نص من النصوص بالغا ما بلغ احترام الناس لهذا النص قابلة دائما للنقاش (للتأكد

من مدى تحقيق المصادقية فى النص) . ومن هنا يجوز لنا مناقشة مدى مصداقية الوثيقة المعروفة كوديكس فاتيكانوس Codex Vaticanus كمجرد مثال . إن صيغتها عند إعادة الفاتيكان لطابعاتها عام ١٩٦٥م يتصدرها تحذير للقارئ يفيد أنه «بعد مرور قرون عدة مضت من تحرير النسخة الأصلية» (يعتقد أنها ترجع إلى القرن الحادى عشر) قام أحد النساخ بكتابة محتوى الوثيقة بالحبر فيما عدا حروف الكلمات التالفة أو الكلمات والعبارات التى رأى أنها خاطئة . وبفحص الوثيقة بدقة أكبر نلاحظ أن بعض الألفاظ والعبارات فى النص الأصلي التى تم تغييرها أو حذفها عند تحرير النسخة الجديدة لايزال موجودا، وحروفه بنية اللون ، ويمكن رؤيتها بشكل واضح فى إصرار على البقاء مع مناقضتها لمجمل النص الذى أعيدت كتابته بالحبر البنى الغامق ومن ذلك يتضح أنه لا شىء يث فى النفس الثقة بأن ترميم النص قد تم إجراؤه بأمانة . ويضاف إلى ذلك أننا نجد التحذير يقول أيضا ما نصّه بالحرف الواحد كما يلى : «لم تتمكن حتى الآن من أن نميّز بشكل نهائى حاسم مختلف الأشخاص الذين صححوا ورموا المخطوطة ووضعوا عليها الحواشى عبر القرون . ولا شك أن عددا كبيرا من التصويبات قد تم إجراؤه عند الترميم»^(١) . وبالرغم من ذلك نجد أن كل المراجع الدينية المسيحية تقدم للناس هذه النسخة وتوهمهم أنها مخطوطة من القرن الرابع . ولا بد من الذهاب إلى مصادر الفاتيكان حتى ندرك أن بعض الأشخاص قد حرفوا فى هذا النص بعد ذلك بقرون كثيرة .

وربما يحاول بعض الناس تدارك هذا القصور عندما يزعم بعض الناس أنه توجد «نصوص أخرى» تفيد وتحسم المقارنة عند الارتياح فى صحة ومصادقية نص من النصوص . ولكن هذا التبرير إنما هو جزء من صميم المشكلة إذ كيف يختار القارئ بين نصوص مختلفة متضاربة المعنى لتدارك التحريف الموجود فى أحد النصوص عندما تكون هذه «النصوص الأخرى» ذاتها متضاربة متناقضة ؟ من المتفق عليه أن وجود تحريف قديم أجراه أحد النساخ يمكن أن يفضى إلى وجود عديد من النصوص المعيبة وسرى فيما بعد بوضوح أن كلمة واحدة فى إنجيل يوحنا هى كلمة Paraclet قد أفضى تحريف بسيط فى حروفها إلى تغيير جذرى فى معنى الفقرة كلها التى وردت فيها هذه الكلمة مما أدى إلى تغيير دلالة الفقرة كلها وقلب دلالتها رأسا على عقب من وجهة النظر اللاهوتية .

ونستطيع أن نتأمل فى هذا الصدد ما كتبه أ . كولمان فى كتابه المعنون بعنوان «العهد الجديد» إذ يقول :

«ربما تحدث أخطاء غير متعمدة فى حالات كثيرة كما هو الحال عندما يُسقطُ الناسخُ كلمة،

(١) يفهم من ذلك أن وثيقة الكوديكس فاتيكانوس التى يقال إنها موجودة فى مكتبة الفاتيكان قد تطلبت إجراء عملية ترميم لها أى أن الكلمات التى كانت مكتوبة بحبر باهت فى سبيله إلى الاختفاء قد تعرض له خبراء ترميم الوثائق بمحاولة الترميم . ولم يكن هذا الترميم دقيقا ولا أميناً فيما يقول المؤلف للأسباب التى ذكرها . (المترجم) .

أو عندما يكرر الناسخ كلمة فيكتبها مرتين متتاليتين ، أو عندما يسقط الناسخ سهوا عبارة أو جزءا من الجملة التي يحورها . وربما تحدث أخطاء متعمدة عن قصد وتصميم عندما يكون الناسخ قد سمح لنفسه بتغيير النص وفقا لأفكاره وآرائه ومعتقداته أو معتقدات جماعة ينتمى إليها أو وفقا لميوله الشخصية ، أو أن يحاول الناسخ التوفيق بين النص الذى يحرره وبين نص آخر تضمن أفكارا مناقضة فنى محاولة من الناسخ لإزالة التناقض أو الخلاف ، وهى محاولة تتم بقليل من المهارة أحيانا أو بكثير من المهارة أحيانا أخرى . ويتدرج انفصال نصوص العهد الجديد عن بقية التراث المسيحى البدائى الشفهى ، ويتزايد الاتجاه إلى اعتبار العهد الجديد كتابا مقدسا ازداد تردد الناسخ فى إجراء مثل هذه التصحيحات التى كان يقوم بها من سبقهم ، وهكذا اعتقدوا - خطأ - أنهم إنما ينقلون النص الصحيح ، وهم فى حقيقة الأمر قد أضفوا مصداقية كاذبة لتحريفات من سبقوهم من النساخ ، وهم أيضا بهذا قد عملوا على بقاء وثبات كثير من الآراء والروايات والنصوص المتعارضة المتناقضة . وفى أحيان أخرى نجد أن الناسخ قد كتب تعليقات أو تفسيرات على هامش النص أو بين قوسين ثم يأتى ناسخ آخر فيكتب الكلام الذى بين القوسين ضمن النص ويزيل القوسين فيضيف كلام الناسخ السابق له إلى كلام النص وهو ليس منه أصلا ، وبهذا يصبح النص أكثر غموضا وخطا وتشويشا .

إن القائمين بنسخ النصوص المقدسة قد سمحوا لأنفسهم بحرية واسعة النطاق عند قيامهم بنسخ وتحرير النصوص المقدسة . وهذا هو ما فعله واحد من أشهر النساخ لأشهر النصوص بالعهد الجديد وأكثرها أهمية وإجلالا . والنص المشار إليه هنا هو النص المعروف باعتبار أنه كوديكس بيزاى كاتابريجيانسيس Codex Bezae Cantabrigiensis الذى يرجع إلى القرن السادس الميلادى . لقد لاحظ الشخص الذى قام بكتابة هذا النص دون ريب الفرق الكبير بين سلسلة نسب المسيح فى إنجيل لوقا وإنجيل متى ، ولما كانت سلسلة نسب المسيح فى إنجيل متى تحتوى عددا أقل من الأسماء فى سلسلة نسب المسيح ، فلقد قام الناسخ بتضخيمها فى إنجيل متى بإضافة بعض الأسماء إليها (دون أن يهتم بأى تناقضات تنشأ عن الإضافة التى أضافها) .

ويوجد سؤال مهم هو : هل الترجمات اللاتينية مثل ترجمة القولجاتا Volgate التى قام بها القديس إيرينيموس Jerome's التى ترجع إلى القرن السادس الميلادى وكذا الترجمة الإيطالية القديمة Vetus Italia وكذا الترجمات إلى اللغة السريانية وإلى اللغة القبطية أكثر دقة من الأصول اليونانية ؟ ربما كانت هذه الترجمات قد كتبت بالاعتماد على مخطوطات أكثر قدما مما نعرف وهى غير موجودة لدينا فى عصرنا هذا . ولا أحد يعرف الحقيقة فى هذا الصدد .

لقد نجح علماء الكتاب المقدس فى عمل تصنيفات لمجموع هذه النصوص ، وكل مجموعة ذات تصنيف معين تمتاز ببعض الصفات المشتركة ، ومن هذا القبيل التصنيف الذى وضعه

أ . كولمان ، وهو كما يلي :

- نصُّ أسماء النص السوري Syrian text كان من الممكن أن يفضى إلى أقدم المخطوطات اليونانية . ولقد انتشر هذا النص السوري انتشارا واسع النطاق في أوروبا ابتداء من القرن السادس عشر الميلادى بفضل ظهور واستخدام آلات الطباعة ، وهو أسوأ النصوص في رأى المتخصصين .

- نصُّ أسماء النص الغربى Western text باللغة اللاتينية القديمة يطلق عليه Codex Bezae Cantabrigiensis وهو مكتوب باللغة اليونانية القديمة وأيضاً باللغة اللاتينية القديمة . وتصف الترجمة المسكونية هذا النص بأنه يستطرد كثيرا في محاولات التعليل والتوفيق مع عدم الالتزام بتوخى الدقة مع كثير من الاستطراد .

نصُّ أسماء النص المحايد Neutral text كما يتمثل في الكوديكس فاتيكانوس Codex Vaticanus وأيضاً الكودكس سيناييتيكوس Codex Sinaiticus ويعتبر أكثر نقاء ، وهو النص الذى تعتمد عليه اليوم طبعات العهد الجديد على الرغم من أنه هو أيضاً تشوبه بعض العيوب (من وجهة نظر الترجمة المسكونية للعهد الجديد) .

إن كل ما تستطيع أبحاث نقد النصوص أن تقدمه لنا هو محاولة إعادة بناء نصوص العهد الجديد للوصول إلى نصٍّ يتمتع بأكبر الفرص الممكنة للاقتراب من النص الأصلي . وعلى كل حال فلا مجال مطلقاً للأمل فى الوصول إلى النص الأصلي نفسه! على حد تعبير الترجمة المسكونية للعهد الجديد .

الأنجيل والعلم الحديث

«شجرة نسب المسيح مختلفة في الأنجيل»

The Gospels & Modern Science

(The Cenealogies of Jesus)

تحتوى الأنجيل على فقرات قليلة جدا تفتح الباب للتعارض مع المعارف العلمية الحديثة .

وتوجد - على كل حال أولا وقبل كل شيء - روايات وحكايات بالأنجيل تتصل بمعجزات وخوارق^(١) لا تكاد تتسق مع التمهيص العلمى . إنها معجزات وخوارق متعلقة ببعض الناس - مثل شفاء المرضى (مرضى العقول ، والعميان ، والمصابين بالشلل ، وإحياء العازر بعد موته) . وتتعلق معجزات وخوارق أخرى بحواف القوانين الطبيعية (كمشى المسيح على الماء فى البحر تحمله صفحة الماء كما لو كان يمشى على اليابس وتحويل المسيح الماء القراح إلى خمر معتقة أجود ما تكون الخمر المعتقة . ويجوز أن تكون المعجزة ظاهرة طبيعية غير عادية تحدث فى لحظة معينة استثناء من قوانين الطبيعة فى زمن قصير جدا مثل سكون العاصفة الفجائى ، أو جفاف شجرة التين وتحولها من الاخضرار إلى حالة الجفاف التام ، أو ذلك الصيد الذى تم بطريقة إعجازية من مكان بالبحر سبق أن تأكد الصيادون من عدم وجود أسماك فيه الذى بدا كما لو كانت كل أسماك البحر قد تجمعت فى شباك الصيادين فى لحظة قصيرة من الزمان .

فى هذه الأحداث يتدخل الله بقدرته . ولا ينبغى أن يدهش المرء مما يقدر الله على فعله لبيدو للإنسان كمعجزات . المعجزات غير معجزات بالنسبة لقدرة الله . ولكن هذه الاعتبارات لا تعنى بأى حال أن على المؤمن أن ينبذ تماما كل قوانين وشئون العلم بحيث لا يكون لها اعتبار فى حياته . إن الإيمان بإمكانية المعجزة^(٢) والإيمان بحقائق العلم أمران غير متعارضين بل هما فى حقيقة

١ . لاجدال من وجهة نظرا فى أن الله سبحانه وتعالى بقدرته قد أجرى معجزات معينة على أبدى بعض أنبيائه ورسله ليؤمن قوم كل نبى أو رسول بصدق نبوته ورسالته . ومن الخطأ عدم فهم المقصود من المعجزة كما أشرنا إليه . وليس معنى المعجزة بآية حال إثبات قدرة لئبى بل هى بقدره الله وإرادته . وليس معنى أن المسيح عليه السلام قد أبرأ أحد العميان أنه كان يمتلك القدرة على إبراء وشفاء كل العميان . وليس معنى أن المسيح عليه السلام قد أحيا العازر بعد موته أن المسيح كان يستطيع أن يحيى أى إنسان آخر بعد موته . (المترجم)

٢ . من الجدير بالذكر أن معجزات الأنبياء ورسل الله المعروفة قد أشار إليها القرآن الكريم على نحو دقيق . وقد ذكر القرآن الكريم معجزات للمسيح لم تذكرها الأنجيل مثل كلام المسيح عليه السلام فى المهد ، كيف تذكر الأنجيل معجزة المسيح هذه وكانت كلمات المسيح فى المهد أنه «عبد الله» ويعتبره أصحاب الأنجيل إلهاً؟ محال أن تذكر الأنجيل مثل هذه المعجزة . وعلى كل حال نجد أن معجزة أى نبى أو رسول من أنبياء الله ورسله إنما كانت مجرد أن يؤمن «قومه» أنه نبى رسول حقا وصدقا وليس دعوى نبوة . ولم يعتمد خاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وسلم على المعجزات الحسية فى إثبات صدق نبوته ورسالته وإنما اعتمد على معجزة القرآن الكريم ، المعجزات الحسية قد تدهش من شاهدها والمعجزات الحسية لم تكف لإقناع الناس . وينقضى أثر المعجزة بانقراض من شاهدها وبطل القرآن الكريم معجزة خالدة تضمنت كل المعجزات . (المترجم)

الأمر أمران متفقان متسقان . المعجزات إنما هي على مستوى إلهي وحقائق العلم إنما هي على مستوى إنساني .

إنني شخصيا أعتقد وأؤمن عن طيب خاطر أن المسيح قد استطاع (بقدرته الله) أن يشفى شخصا مصابا بالبرص ، ولكنني لا أستطيع أن أقبل الادعاء بصحة وحى الله في نص بالإنجيل أقرأ فيه أن عشرين جيلا فقط قد عاشت بين أول إنسان (سيدنا آدم) وسيدنا إبراهيم كما يقول بذلك إنجيل لوقا^(١) بالأصحاح الثالث : ٢٣ - ٢٨ . وسنرى بعد قليل الأسباب التي تقرر أن هذا النص في إنجيل لوقا مثله في ذلك مثل النص الموجود بهذا المعنى في التوراة (العهد القديم) لم يصدر عن الله ، ولم يوح به الله إلى أحد ، بل صدر هذا النص عن مجرد خيال إنسان من البشر .

إن الأنجيل (شأنها في ذلك^(٢) شأن القرآن) تعطينا نفس المعلومات عن الأصول البيولوجية للمسيح . إن نمو المسيح في رحم أمه قد حدث على نحو مغاير لقوانين الطبيعة العامة التي تشمل كل البشر . إن البويضة التي حواها مبيض أمه لم تحتاج إلى الالتقاء بحيوان منوي آت من صلب رجل هو أبوه ليشكل جنينا ثم طفلا قابلا للوجود في الحياة ككائن بشري حتى ولدته أمه على نحو طبيعي . إن الظاهرة التي تؤدي إلى ميلاد كائن بشري حتى دون تدخل العنصر المخصب للذكر تسمى ظاهرة التلقيح الذاتي Parthenogenesis ومن الممكن دراسة وملاحظة ظاهرة التلقيح الذاتي هذه في عالم الحيوانات تحت ظروف معينة . كما يمكن ملاحظة هذه الظاهرة في حالات بعض الحشرات وبعض اللافقريات وبعض أنواع الطيور بشكل استثنائي نادر الوجود . ولقد أمكن بالتجربة العلمية بالنسبة إلى بعض الثدييات مثل أنثى الأرنب الحصول على بداية تطور البويضة إلى حالة جنينية^(٣) في مرحلة أولية جدا . ولكن الذهاب إلى أبعد من هذا لا يزال مجهولا غير معروف . لم تكتمل حتى الآن تجربة علمية مضبوطة لعملية تلقيح ذاتي مكتمل التطور عند الثدييات . أما المسيح فهو حالة خاصة . كانت أمه مريم عذراء . وقد احتفظت بعذريتها . ولم تلد أطفالا غير^(٤) المسيح . إن المسيح استثناء بيولوجي .

(١) يبدأ النص المشار إليه في إنجيل لوقا كما يلي : « ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة وهو على ما كان يظن ابن يوسف بن هالي بن منشا بن لاوى ... إلخ » ويمضى النص في سرد نسب المسيح بحيث يجعل بين سيدنا إبراهيم وسيدنا آدم عشرين جيلا فقط كما أحصاها المؤلف المذكور موريس بوكاي . ويلاحظ المترجم أن عبارة « على ما كان يظن » التي وردت بصدر هذا النص تفيد أن الكلام كلام إنسان من البشر وليس بالقطع كلام الله ، إن الله لا يقول قولا « على سبيل الظن أبدا » . إن هذا لا يتسق مع كمال الله . انظر إنجيل لوقا ٣ : ٢٣ - ٢٨) - (المترجم) .

(٢) يسجل المترجم تحفظه بشأن هذه العبارة الاعتراضية المشار إليها إذا إن نظرة القرآن ونصوه بشأن المسيح تختلف عن تلك التي تقدمها لنا الأنجيل . أما إذا كان المقصود هو نفي القرآن أن يكون المسيح ابن زنا كما يقول اليهود ، ونفي الأنجيل أيضا هذه التهمة عن المسيح فإن عبارة المؤلف تكون مقبولة في هذه النقطة فقط لا غير . (المترجم) .

(٣) ثم أمكن عمل نسخ من النعجة ددلي - ولكنه ليس خلقا من عدم . (المترجم) .

(٤) يورد المؤلف ملاحظة الهامش السفلي تفيد أن بعض الأنجيل تذكر أنه كان للمسيح إخوة ، ولكن المؤلف لا يوافق على ذلك ويقول إن هذه ترجمة خاطئة لكلمتين يونانيتين هما adelphoi , adelphia وهما في نظره تعبان علاقة قرابة كأولاد العمومة أو الخولة ولاتعنيان الأخوة بالمعنى البيولوجي . (المترجم) .

خطأ نسب المسيح

The Genealogies of Jesus

هنالك خطان لنسب المسيح يحتوى عليهما إنجيل متى وإنجيل لوقا ويسبيان تناقضا وتعارضا مع معطيات^(١) العلم الحديثة ، ويسبيان من ثم بعض المشاكل التي تتعلق بمصادقية الكلام الذي يفترض أنه كلام الله . إن هذه المشاكل تسبب كثيرا من الحيرة والارتباك لدى علماء الكتاب المقدس الذين يرفضون أن يوافقوا على أن الكلام المتضمن لهذا التناقض إنما هو كلام بشر وليس كلام الله . لقد ألهم الخيال البشرى - وليس الله - بعض أولئك الذين صاغوا سفر التكوين من رجال الكهنوت اليهودى فيما يتعلق بالنسل الأول للبشر ، وهو هو ذات الخيال البشرى - وليس الله - هو الذى جعل متى ولوقا يصوغا ما لم يقتبساه من التوراة أو العهد القديم .

ويلاحظ بادئ ذى بدء أن هاتين السلسلتين من النسب من جهة الرجال إنما هو معدوم المعنى وغير معقول أصلا فيما يتعلق بشأن المسيح على وجه التحديد . ولو كان من الضروري أن يحاول أحد البحث عن نسب للمسيح وهو وحيد أمه مريم العذراء ، ولدته دون أب ، فمن الضروري أن يكون هذا النسب من جهة أمه مريم فقط لا غير^(٢) .

وفيما يلى سلسلة نسب المسيح كما وردت فى إنجيل متى وكما أوردتها الترجمة المسكونية للعهد الجديد .

(١) فى مسألة مثل مسألة تحديد نسب شخص من الأشخاص لا مجال للخلاف فى ذلك ، خصوصا عندما يكون الله هو الذى أوحى الكلام المحدد لنسب هذا الشخص . ووجود تعارض أو تناقض يدل دلالة قاطعة حاسمة على أن مثل هذا الكلام يستحيل أن يكون كلام الله بحق كما يزعم ذلك بعض الناس . (الترجم)

(٢) إذا كان المسيح عليه السلام قد ولدته أمه بغير أب ، هذه هى حقيقة الأمر من وجهة النظر الإسلامية ، فلا معنى ولا معقولية أن يبحث له أحد عن شجرة نسب تحدد الأب والأجداد الذين انحدر من صلبهم المسيح الذى ولد بغير أب . (الترجم)

سلسلة نسب المسيح بن داود بن إبراهيم كما وردت في بداية إنجيل متى

إبراهيم ولد إسحاق	وأجاز ولد حزقيا
وإسحاق ولد يعقوب	وحزقيا ولد منسى
ويعقوب ولد يهوذا وإخوته	ومنسى ولد أمون
ويهوذا ولد فارص وزارح من ثامار	وأمون ولد يوشيا
وفارص ولد حصرون	ويوشيا ولد يكنيا وإخوته
وحصرون ولد آرام	وكان النفي إلى بابل
وآرام ولد عمينا داب	بعد النفي ببابل :
وعمينا داب ولد نحشون	يكنيا ولد شلتيثيل
ونحشون ولد سلمون	وشلتيثيل ولد زربابل
وسلمون ولد بوعز من راحاب	وزربابل ولد إيهود
وبوعز ولد عوبيد من راعوث	وإيهود ولد إلياقيم
وعوبيد ولد يسي	وإلياقيم ولد عازور
ويسي ولد داود الملك	وعازور ولد صادق
وداود الملك ولد سليمان من النبي لاوريا	وصادوق ولد أخيم
وسليمان ولد رحبعام	وأخيم ولد اليهود
ورحبعام ولد أبيا	واليهود ولد العازار
وأبيا ولد أسا	والعازار ولد متان
وأسا ولد يهوشافاط	ومتان ولد يعقوب
ويهوشافاط ولد يورام	ويعقوب ولد يوسف
ويورام ولد عزيا	رجل مريم التي ولد منها
وعزيا ولد يوتام	عيسى الذي يدعى المسيح
ويوتام ولد أجاز	

وعلى ذلك يكون عدد الأجيال من إبراهيم إلى داود أربعة عشر جيلا .
وعدد الأجيال من داود إلى السبي البابلي هو أربعة عشر جيلا . ومن السبي البابلي حتى مجيء
المسيح أربعة عشر جيلا .

سلسلة نسب المسيح

حسب إنجيل لوقا (٢٣:٣-٢٨)

يعطى لوقا للمسيح سلسلة نسب تختلف عن تلك التى أعطاها متى للمسيح، وها هى ذى سلسلة نسب المسيح وفقا لرواية إنجيل لوقا (٢٣:٣-٢٨) حسب الترجمة المسكونية للعهد الجديد: وتسهل المقارنة بين هاتين السلسلتين لنسب المسيح لو وضعناهما فى جدولين ، قبل داود وبعد داود .

نسب المسيح ، قبل داود

حسب إنجيل لوقا	حسب إنجيل متى
١ آدم	متى لا يذكر أى اسم قبل إبراهيم
٢ شيث	
٣ أندش	
٤ قينان	
٥ مهليل	
٦ يارد	
٧ أخنوخ	
٨ متوشالح	
٩ لامك	
١٠ نوح	
١١ سام	
١٢ أرفكشاد	
١٣ كائنان	
١٤ شالح	
١٥ عابر	
١٦ فالج	
١٧ راعو	
١٨ سروح	

حسب إنجيل متى	حسب إنجيل لوقا
١ إبراهيم	١٩ ناحور
٢ إسحق	٢٠ تارح
٣ يعقوب	٢١ إبراهيم
٤ يهوذا	٢٢ إسحق
٥ فارص	٢٣ يعقوب
٦ حصرون	٢٤ يهوذا
٧ آرام	٢٥ فارص
٨ عمينا داب	٢٦ حصرون
٩ نعتشون	٢٧ عرنى
١٠ سليمان	٢٨ آدمنى
١١ بوغز	٢٩ عمينا داب
١٢ عبيد	٣٠ نعتشون
١٣ ييسى	٣١ شالح
١٤ داود	٣٢ بوغز
	٣٣ عوبيد
	٣٤ ييسى
	٣٥ داود

نسب المسيح بعد داود

حسب إنجيل متى

١٥ سليمان	٢٤ حزقيا	٣٣ عازور
١٦ رحبعام	٢٥ منسى	٣٤ صادوق
١٧ أبيا	٢٦ أمون	٣٥ أكيم
١٨ أسا	٢٧ يوشيا	٣٦ اليهود
١٩ بوشافاط	٢٨ بكنيا	٣٧ ألعازار
٢٠ بورام	النفى إلى بابل	٣٨ متان
٢١ عزيا	٢٩ شالتييل	٣٩ يعقوب
٢٢ يوتام	٣٠ زربابل	٤٠ يوسف
٢٣ أجاز	٣١ أبيهود	٤١ عيسى
	٣٢ ألياقيم	

نسب المسيح بعد داود

حسب إنجيل لوقا

٣٦ ناتان	٤٧ يوريوم	٥٨ ريسا	٦٨ عاموس
٣٧ متاتا	٤٨ عازر	٥٩ يوحنا	٦٩ متتيا
٣٨ منا	٤٩ بوسى	٦٠ يهوذا	٧٠ يوسف
٣٩ مليا	٥٠ غير	٦١ يوسف	٧١ ينا
٤٠ ألياقيم	٥١ المودام	٦٢ شمعى	٧٢ ملكى
٤١ يونان	٥٢ قوسام	٦٣ متتيا	٧٣ لاوى
٤٢ يوسف	٥٣ آدى	٦٤ مآت	٧٤ متات
٤٣ يهوذا	٥٤ ملكى	٦٥ نجى	٧٥ على
٤٤ شمعون	٥٥ نيرى	٦٦ حسلى	٧٦ يوسف
٤٥ لاوى	٥٦ شالتييل	٦٧ ناحوم	٧٧ عيسى
٤٦ متات	٥٧ زربابل		

الفروق بين المخطوطات والتباين مع التوراة

Variations in the Manuscripts and in Relation to the Old Testament

لو ضربنا صفحا عن الأخطاء فى تهجى الأسماء والألفاظ فمن الضرورى أن نذكر ونشير إلى الملاحظات الآتية :

(أ) إنجيل متى

لقد تم حذف سلسلة نسب المسيح من نص إنجيل متى المسمى باسم كودكس بزاى كاتابريجينيوس Codex Bezae Cantabrigiensis وهى مخطوطة هامة جدا ترجع إلى القرن السادس الميلادى ، وهى مزدوجة اللغة (مكتوبة باللغة اليونانية وباللغة اللاتينية) . ولقد اختفت سلسلة نسب المسيح من النص اليونانى فى هذه الوثيقة تماما ، واختفت غالبية الأسماء من سلسلة نسب المسيح من النص اللاتينى وربما كان مرجع ذلك إلى ضياع الصفحات الأولى . ولا بد من الإشارة إلى أن متى قد اقتبس من التوراة فى هذا الصدد بتصرف كبير ، وقد حذف قدرا كبيرا من الأسماء بافتراض أنه قد قام بمراجعة حسابية لم يعط عنها أية إيضاحات .